٣٥
الأصالة (رسالة إسلامية منهجية جامعة)السنة السادسة ـ ١٥ / شعبان / ١٤٢٢ هـ ـ عدد ٣٥

الأصالة

رسالة إسلامية منهجية جامعة

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

اقرأ في هذا العدد . . .

- واقعنا الأليم ومستقبلنا الواعد . . . . التحرير .
- فوائد لطلاب العلم (١) . . . .

الشيخ العلامة الإمام محمد بن صالح العثيمين .

- مآخذ منهجية على سفر الحوالي (٢) . . . .

الشيخ الأستاذ ربيع بن هادي المدخلي .

- فتنة التكفير . . . . فضيلة الشيخ سعد الحصين .
- حب الرئاسة ... الشيخ مشهور بن حسن .
- من سير الصالحين ... الشيخ هشام العارف .
- الوفاء بالعهد والوعد ... الأستاذ محمود المهر .
- الفتوى والفتنة . . . . التحرير .

«الأصالة»
أشعر أنها اسمٌ على مسمّى ـ إنْ شاء الله ـ
الشيخ العلامة / محمد ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ
« مجموع فتاويه »
(رقم ٦٣١٨)

الناشر : مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية
تلفون : ٥٠٥٤٠٥٣ ـ ٦ ـ ٠٠٩٦٢

السنة السادسة - عدد(٣٥)
١٥/ شعبان/ ١٤٢٢هـ

رسالة إسلامية منهجية جامعة

الأصالة

٣٥

عودة إلى الكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري

أسرة التحرير:

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري ..... رئيسا

الشيخ سليم بن عيد الهلالي ..... عضوا

الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر ..... عضوا

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان ..... عضوا

إخواننا القراء

نرحب بكل مقال علمي رصين،
ونرغب في كل نقد هادف بنّاء

في (الأصالة):

منبر لكل مسلم مخلص داع على الحق . .
- وفقنا الله وإياكم لكل خير -.

الاشتراكات

- المملكة العربية السعودية (١٨٠ ريالاً).
- بقية الدول العربية (٥٠ دولاراً).
- أوروبا (٦٠دولاراً).
- أمريكا (١٠٠ دولاراً).

ثمن النسخة

الأردن: (دينار)، الإمارات المتحدة: (١٠ دراهم)، البحرين: (دينار)، السعودية (١٠ ريالات)، الكويت: (٨٠٠فلس)، أوروبا (٤دولارات)، أمريكا (٥دولارات).

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم (٤/ ٣/ ١٣٢٨)

عنوان المراسلة

الأردن - عمّان

ص.ب (٩٨) الرمز البريدي (١٣٧٨١).

تلفاكس: ٥٠٥٤٠٥٣ - ٦ - ٠٠٩٦٢

موقعنا على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت):

www.albani-center.com

تطلب (الأصالة) من:

الإمارات: جمعية دار البر - دبي

البحرين: مكتبة التوحيد

اليمن: مكتبة الإدريسي السلفية - صنعاء - شارع تعز - قرب فندق الوطن - هاتف ٦٢٠٢٢٧ - ٢٦٣٩١٤

الجزائر: مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع

08 شارع السيدة الإفريقية - باب الوادي - الجزائر

هاتف: ٢١٩٦٧٧٠٠ (٠)٢١٣ فاكس: ٢١٩٦٦١٠٠ (٠)٢١٣

البريد الإلكتروني: madjaliss@hotmail.com

الولايات المتحدة:

AL-QURAN WAS-SUNNAH SOCIETY (QSS)
19800 VAN DYKEROAD
Detroit 48234-3354
Tel: (313) 893 - 3768
Fax: (313) 893 - 3748

بريطانيا وإيرلندا:

Salafi Pubications
17 - 19 Muntz Street
Small Heath
Birmingham Bio 9SN
TEL: (44) 121 773 0003
(44) 121 773 0033
Fax: (44)121 773 4882
E-mail: enquiries@Salafipubications.com
WebsiteL:WWW.SalafiBookstore.com

وتطلب (الأصالة) من جميع المكتبات السلفية في العالم.

خطبة الحاجة

إنَّ الحَمْـدَ للهِ؛ نَحْمَـدُهُ، وَنسْتَعِنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يَـا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَـالاً كَـثِيراً وَنِسَـاءً وَاتَّقُـوا اللهَ الَّـذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

﴿يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أَمَّا بَعْدُ:

فَـإِنَّ خَـيْرَ الحَدِيـثِ كِـتَابُ اللهِ ، وَأَحْسَـنَ الهَـدْيُ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَشَرَّ الأُمُـورِ مُحْدَثَاتُهـا ، وَكُـلَّ مُحْدَثَـةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

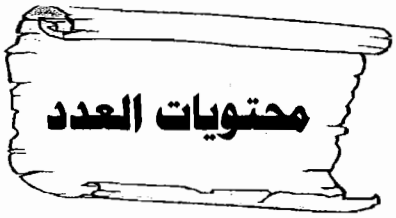

محتويات العدد

- **فاتحة القول:** واقعنا الأليم ومستقبلنا الواعد

التحرير ٥

- **تأملات قرآنية:** ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري..... ١٢

- **الكلم الطيب:** الدرر الثمينة في شرح حديث: ((إذا تبايعتم بالعينة)) (١)

الشيخ سليم بن عيد الهلالي ١٤

- **من سير الصالحين:**

الشيخ أبو عبدالرحمن هشام العارف المقدسي ٢٢

- **مباحث عقدية:** فتنة التكفير

فضيلة الشيخ سعد الحصين ٣٠

- **تزكية النفوس:** حبُّ الرئاسة

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٣٥

- **الأخلاق الإسلامية:** الوفاء بالعهد والوعد (١)

الأستاذ محمود سلامة المهر ٤٢

- **الكتب تعريفاً ونقداً:** مآخذ منهجية على د. سفر الحوالي (٢)

فضيلة الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي ٥٤

- **قضايا فقهية:** الأحكام التي تتميز بها المرأة عن الرجل (٢)

الشيخ خير الدين وانلي ٦٢

- **في رحاب العلم:** فوائد لطلاب العلم (١)

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين..... ٧١

- **الطب النبوي:** أهمية الطب النبوي في الكتاب والسنة وآثار السلف

الشيخ د. أبو أنس محمد بن موسى آل نصر..... ٧٥

- **مسك الختام:** الفتوى والفتنة

التحرير ٧٩

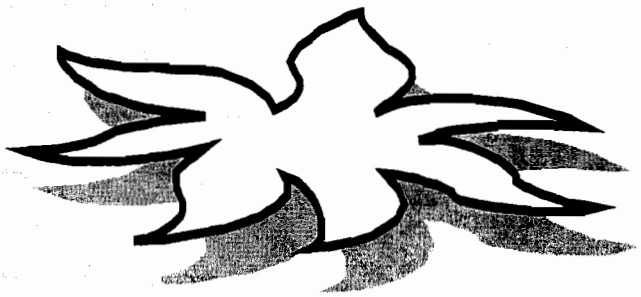

واقعنا الأليم ومستقبلنا الواعد

● بقلم: أسرة التحرير

إنَّ الواقعَ الأليمَ الذي تعيشُه الأُمةُ الإسلاميّةُ -اليومَ- يَفرضُ عليها -عقلاً ونقلاً- أنْ ترجعَ إلى دينها القويم؛ بسماحتهِ، وقِيَمه، وعقيدتهِ، وأخلاقهِ؛ ليعودَ لها عزُّها ومكانُها:

ـ أما عقلاً؛ فإنَّ كثيراً من المسلمين المعاصرين -دولاً وأحزاباً- قد جرّبوا المبادئ الأرضية الوضعية بجميع أشكالها، ومختلف ألوانها؛ فلم يَجْنُوا منها إلا خساراً، ولم تزدْهم إلا تَبَاراً.

بينما كان أسلافُهم الأوائلُ -من أهل القُرون الخَيِّرةِ- الذين استجابوا لله ولرسوله -حقّاً- خيرَ أمة أُخرجت للناس؛ كما قال اللهُ -تعالى-: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

ـ وأما نَقْلاً؛ فقد صحَّ عن رسولِ الله ﷺ قولُه: «إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سَلّط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم».

وكُلُّ هذا واقِع، ما له من دافع . .

وإنَّ ممّا كَثُرَ القولُ فيه -هذه الأيامَ-، وأُلصق بالإسلام ظلماً وزوراً -لأهداف أُعِدّت، وتصوُّرات رُسمت؛

لِعَوْلَمَةِ الدُّنيا؛ بإعادة تشكيل خريطة العالم كما يريدون وَيَهْوَوْن-: قضيّةَ (الإرهاب)، وما اتّصل بها مِن مقدّمات، وما نشأ عنها من نتائجَ؛ وذلك بعد أحداثٍ وحوادثِ اعتداءات وتفجيرات (نيويورك) و (واشنطن) في (الولايات المتحدة الأمريكيّة)؛ الّتي ذهب ضحيّتها الآلافُ من الناس -على تنوُّع أصنافِهم، وتعدُّد أشكالهم-.

وممّا يزيدُ المسألةَ حساسيّةً وعُسْراً -في آنٍ معاً- أنّ الأمريكان(!) لم يذكروا فيما (أعلنوه) قوائم الإرهاب -المعدودة مسبقاً!!- أيَّ جماعةٍ، ولا طائفةٍ، ولا جمعيةٍ، ولا فردٍ؛ إلا ما كان منتسباً للإسلام!

فنقول: يا للهِ العَجبُ! ألا يوجد في بلادهم -وبين شعوبهم- إرهابيون؟!

أليسوا هم - وهم يمارسون- بعنف - مهمّة شُرَطِيِّ الأُمم والشعوب- وعلى وَفق ما يُصوّرونه من معنى (الإرهاب)- إرهابيين؟!

وعليهِ؛ فإنَّ هذا الواقع -وما يتّصل به- لم يُغفِل الشرعُ حُكْمَه، ولم يُهْمِل بيانه:

فنقول -لا رغبةً ولا رهبةً-:

ابتداءً؛ يفرح المسلمون بضعف أعدائهم ومحاربيهم؛ ولكن لا يشمتون بالموت الطاغي، ولا بالقتل العشوائيِّ؛ وقد قال العلامةُ الفقيهُ عزّ الدين بن عبدالسلام -المتوفى سنة (٦٦٠هـ) -رحمه الله- في كتابه «قواعد الأحكام» (٢/ ٣٩٧):

«لو قُتِلَ عدوُّ الإنسانِ ظُلماً وتعدِّياً، فسرَّهُ قَتْلُهُ وَفَرِحَ به؛ هل يكون ذلك سروراً بمعصية الله أم لا؟!

قلتُ: إنْ فَرِحَ بكونه عُصِيَ اللهُ فيه، فبئسَ الفرحُ فرحُهُ، وإنْ فَرِحَ بكونه خَلَصَ من شرِّه وخَلَصَ الناسُ من ظلمه وغشمه، ولم يفرح بمعصية الله بقتله، فلا بأس بذلك؛ لاختلاف سبَبَي الفرح».

فإسلامُنا العظيم يحرّم -تحريماً شديداً- أمثالَ هذا القتلِ الأعمى؛ الذي لا يُفرِّق فيه بين مُسلمٍ وكافرٍ، وذَكَرٍ وأُنثى، وكبيرٍ وصغيرٍ، ومسالمٍ ومحارب -سواءٌ سُمِّي إرهاباً، أم لم يُسَمَّ!!-؛ فلقد أوصى رسولُنا الكريمُ ﷺ جُندَه الأبرار- وهم يتوجّهون لساحات

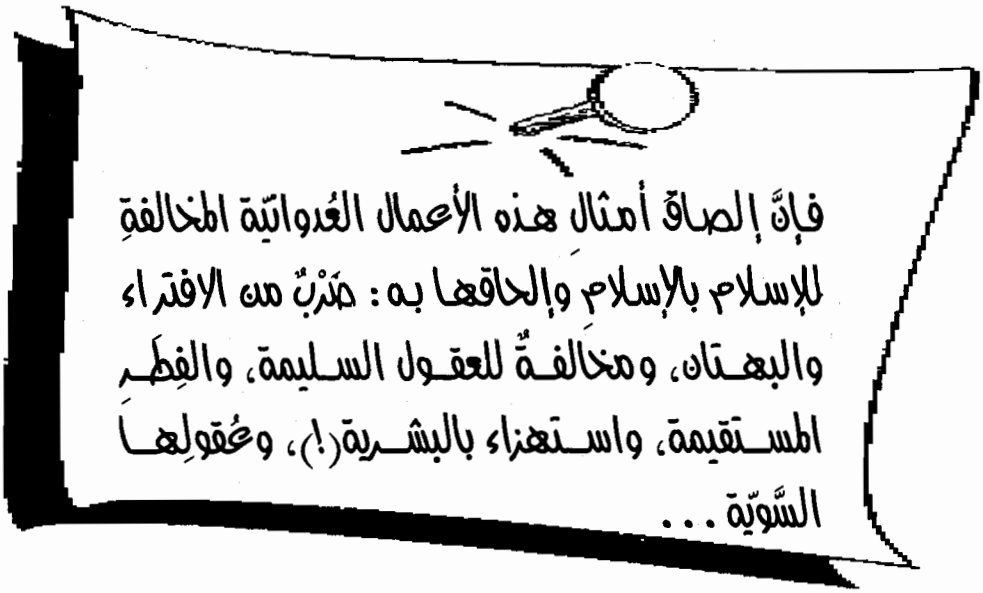

الجهادِ؛ لإخراج الناس من الظلمات إلى النّور- أنْ لا يقتلوا صغيراً، ولا امرأة، ولا شيخاً، ولا راهباً في صومعته، ولا يقطعوا شجرة . . .، وعلى هذا سار صفوةُ الخلفاء الراشدين، ومن اهتدى بهديهم من الملوك الصالحين.

ويتأكّد هذا (التحريم) -جِدّاً- إذا وَقَعَ استِئْمانٌ -أو عهدٌ- مع غير المسلمين-؛ فإنَّ ذلك يُحرِّمُ على المسلمِ -أكثرَ - صُوَرَ الغدرِ والخيانة، وسُبُلَ نقضِ العَهْدِ وَهَتْكِ الأمانة. .

ويزدادُ تأكيدُ هذا المنعِ -أكثرَ وأكثرَ- إذا ترتَّب على أمثال هذه الفعائلِ، وتِلكُمُ الصنائعِ مخالفةٌ ومُناقضةٌ لنصوصٍ شرعيةٍ أخرى؛ كمثلِ قولِ اللهِ -تعالى-: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾[1].

وعلى ضَوْءِ ما تقدّم؛ فإنَّ إلصاقَ أمثالِ هذه الأعمال العُدوانيّة المخالفةِ للإسلام بالإسلامِ وإلحاقها به: ضَرْبٌ من الافتراء والبهتان، ومخالفةٌ للعقول السليمة، والفِطَرِ المستقيمة، واستهزاء بالبشرية(!)، وعُقولِها السَّويّة . . .

(١) انظر المقال التالي لهذه (الفاتحة) - في تفسير هذه الآية الكريمة-.

وليس في الإسلام -ولله الحمدُ- رجالُ دينٍ(!) يكونون حُجّةً على الشرع، بل الشرعُ حُجّةٌ على الجميع، تُقاس أعمالُهم به، فاللهُ -تعالى- يقولُ: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾.

فالمخالفُ للإسلامِ -ولو كان من أهل الإسلام- لا يُنسَب بمخالفتهِ للإسلامِ؛ لا في صغيرٍ ولا في كبير.

. . . فَمَا ذَكَرَتْهُ بعض وكالات الأَنْباء، وتناقَلَتْهُ بعض الصحف الدولية والمحلية من أنَّ بَعْضَ مَن نُسِبت إليه هذه الاعتداءاتُ، وتلكم التفجيراتُ: معدودٌ في المسلمين (السلفيِّين)!! فكلامٌ باطلٌ ملقىً على عواهنهِ؛ على اعتبار ما سَبَقَ -أولاً-، وعلى مُغايرةِ الحقّ وأهله -ثانياً-.

فالسّلفيّة الحقّةُ -والسلفيُّون الأوفياءُ لعقيدتِهم ومنهجِهم- مِن هذه الأعمال أبرياءُ براءَة الذئب من دم ابنِ يعقوبَ؛ ممّا يكشفُ أنّ صاحبَ هذه الفِرْية صحفيٌّ جاهلٌ، أو ورّاق فاشِلٌ؛ لا يعرف ما يخرج من رأسه، بل يهرف بما لا يعرف، ويَهذي بما يؤذي؛ فهو لا يدري السّلفيّة لا من قريب ولا من بعيد -لا في قليلٍ ولا في كثيرٍ-؛ فالسّلفيّة هي الإسلام الحقُّ؛ فهي منهجٌ علميٌّ تربويٌّ دعويٌّ مرتبطٌ بالعلماء، موصولٌ بالكُبَراء، ومبنيٌّ على الكتاب والسُّنّة بفهم سلف الأمُّة . . . لا يجمعُ دعاتَها تنظيمٌ حركي، ولا تشملهم جماعة حزبية، وإنّما الولاء والبراء بينهم على الشَّرع وأحكامهِ، -تعاوناً على البر والتقوى، واعتصاماً بحبل الله، وتواصياً بالحقّ والصبر-؛ فلا يُقاتِلون تحت راية عُمِّيَّة ولا جاهليّة، ولا يسفكون الدّم الحرام، وهم أَرحَمُ الناس بالخَلْق، وأَتْبَعُهم للحقّ . . .

وممّا يتوجّب ذكرُهُ في هذا المقام -تحقيقاً لأخوّة الإسلام-: أنَّ «المسلم أخو المسلم؛ لا يَظْلِمُهُ، ولا يَحْقِرُهُ، ولا يُسْلِمُه»؛ كما قال -عليه الصلاة والسلام-.

وفي حديثٍ آخَرَ -عنه- ﷺ قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، وفي الحديثِ -نفسه- بيانُ أنَّ نُصرتَه ظالماً إنّما تكون بردعهِ عن ظلمهِ . .

أمّا إعانةُ غيرِ المسلمين على المسلمين بأي وجه من الإعانة -ولو بالكلام، وتسخير وسائل الإعلام؛ ليتقووا بهم،

ويتكثّروا عليهم-: فهذا بابٌ من الحرام، وطريق إلى كبائر الآثام . . فـ ﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ -كما قال ربُّ العالمين سبحانه وتعالى-.

وممّا يتّصل بهذا الأصل، ويَلْتقيهِ، ويُوصِل إليهِ -عِلْماً، وعملاً- قولُ نبيّنا ﷺ: «لا يُقتل مسلمٌ بكافر»؛ لكرامته عند ربّه، ومكانتِه عند مولاه؛ كما قال نبينا ﷺ: «لزوالُ الدّنيا أهون على الله من قتل رجلٍ مسلم»، وكما قال الصحابي الجليل عبدالله ابن عمر -رضي الله عنهما-: «لأن تنقضَ الكعبةُ حجراً حجراً أهون عند الله من قتل رجلٍ مسلم».

فكيف والحالُ أعظمُ وأشدُّ؟! حيث حُشِدت إمكانيات جُلِّ شعوب العالَم - أرضاً وسلاحاً وجنداً؛ مسلمين وغيرَ مسلمين - لتحقيقِ (أهداف) و (مآرب) مَن لا يَرقُب في المسلمين إلاً ولا ذمّةً - طوعاً أو كرهاً-. . .

والتوجيهاتُ القرآنية في هذا الباب قويةٌ جدّاً، وواضحةٌ جدّاً، وصريحةٌ جدّاً:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥١-٥٧]

فالواجب على المسلمين -أجمعين- أن يحذروا مكايدَ الكفار ودسائسَهم، وأن يُعِدُّوا العُدَّة المادية، والمعنوية - ما استطاعوا إلى

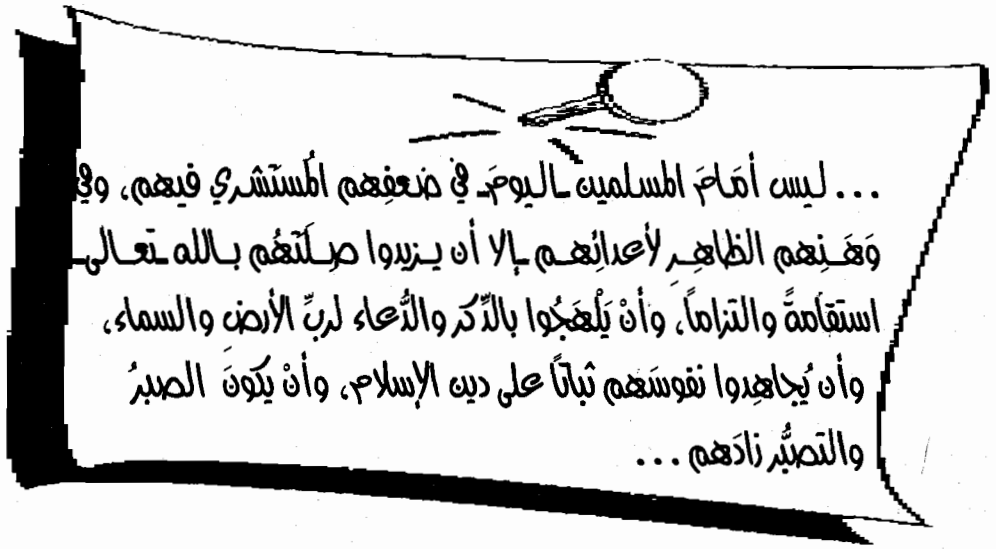

ذلك سبيلاً-، وأن يأخذوا بأسباب النصر -الشرعيّة- على أعدائهم؛ باعتصامهم بحبل الله على كلمة التوحيد، ومنهج السنّة الرشيد، وعدم تفرُّقهم شِيَعاً وأحزاباً؛ كما قال -تعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال -أيضاً-: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣١-٣٢].

فمِن أسباب الوَهَنِ والضعفِ وتسلُّطِ الأعداء: التّفرُّقُ والتشتُّتُ، والبُعدُ عن شرع الله وتحكيمِهِ والتحاكم إليه، والقعودُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعَدَمُ مُجاهدة أعداء الله المغتصبين لأرض المسلمين ومقدَّساتهم، والتعلُّقُ بالدنيا، وكراهية الموت الذي يُوَرِّثُ الوَهَنَ والغُثائيَّة؛ كما قال نبيّنا ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأممُ من كُلِّ أفقٍ؛ كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها»، قيل: يا رسول الله! فمن قلّة نحن يومئذ؟ قال: «لا؛ ولكنكم غثاء كغثاء السيل، يُجعل الوهن في قلوبكم، ويُنزعُ الرُّعب من قلوب عدوكم؛ لحُبِّكم الدّنيا وكراهتكم الموت»، واللهُ -سبحانه- يقول: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.[آل عمران:١٦٥]

ومن المعلوم أنَّ الشرَّ لا يوقع إلا بالشرّ، والضغطَ لا يُوَلِّد إلا ما هو أدهى و أَمَرّ ؛ فما تُمارسُهُ (الولايات المتّحدة الأمريكيّة)

مـن دَعْـم هـائِلٍ مُطْلَـق لإخـوانِ القـردةِ والخـنازير المحتلّين لبلادِنا فِلَسْطين، والأقصى الحـزين -مَسْرى رسولِنا الأمين ﷺ-، وما يَتْبَعُ ذلـك مِـن إهمالٍ تامّ لقضايا المسلمين المصـيريّة، وإجحـافٍ كبير لحقوقهم: يجعلها تجـني (بعـضَ) ثمـار أعمالهـا!! ومـن زرع الحنظل فلا يحصد إلا العلقم.

فالواجـبُ الحـتمُ الـلازمُ عـلى أمـريكا وأشياعِها -إغلاقاً لمثل هذه الأبواب، وقطعاً لأشـباه هـذه الأسباب-: مراجعةُ سياساتها (الداخلـية والخارجـيّة)، والـتّفكيرُ المـتأنّي بطرائقها وأحكامها، بدلاً من حشد الجموع، وجمـع الحشـود؛ (لِغَـزْو) بَلَـدٍ إسلاميٍّ فقيرٍ ضـعيفٍ، كانـت الأُمـم المـتّحدة -بـالأمس القريـب- تُرسِلُ إليه طائراتِ الإغاثةِ المحمّلةَ بالطعام، واللباس، والدواء . . .

فمـا بالُهـا -الـيوم- تعكـس الصورة؟! فتـتوعّد لـتحويلِ هذه الطائرات إلى قَصْفٍ، وخَسْـفٍ، ونَسْـفٍ . . . ممّا قد تكونُ عواقبُه -مـن بعـد- أكبرَ بكثيرٍ جدّاً من أن تُحْصَرَ، أو يُسَيْطَرَ عليها . . .

فالواجـب يقضـي -لُـزُوماً- التّثبتَ من الجاني، وإحكامَ النظر في العواقب الوخيمة، قبل التسرُّع في الانتقام العشوائي!

. . ثُـمّ (نَفّـذت) أمـريكا ما توعّدت به، ومـا هـدّدت بـه؛ فابتدأت برّاً، وبحراً، وجوّاً هجومـاً كاسـحاً؛ لِتُرضـي غُـرورَها، وتُقنع شـعوبها!! وإلا: فهـي تعـلم (جـيّداً) أنّ موازيـن القوى -كما يقولون- غير متكافئة، ولا متقاربة!!

ومـع هـذا كلّه؛ فليس أمَـامَ المسـلمين -الـيومَ- في ضـعفِهم المُستَشـري فيهم، وفي وَهَـنِهم الظاهِـرِ لأعدائِهـم -إلا أن يـزيدوا صِـلَتَهُم بالله -تعالى- استقامةً والتزاماً، وأنْ يَلْهَجُـوا بالذّكـر والدُّعـاء لـربِّ الأرضِ والسـماء، وأن يُجـاهِدوا نفوسَهم ثباتاً على ديـن الإسـلام، وأنْ يكـونَ الصبرُ والتصبُّر زادَهـم: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط﴾ .[آل عمران: ١٢٠]

سائلين اللهَ -تعالى- أن يكون غِبّ ذلك كلّـه خـيراً للإسـلام وأهلـه، ووبـالاً عـلى الكفرة وجُندِه.

﴿وَاللهُ يَقُـولُ الْحَـقَّ وَهُـوَ يَهْـدِي السَّبِيلَ﴾ .[الأحزاب:٤]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[1].

---

(١) نعتذر عن تأخر صدور هذا العدد في وقته المحدد؛ لظروف خارجة عن إرادتنا.(الأصالة).

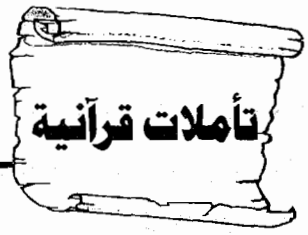

وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

• بقلم: الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثريّ

مِن أرفع مقاصد الشرعِ وأعلاها: مقصد حفظ النَّفس؛ لأنَّ به قِوَامَ الحياة الإسلامية الحقَّة، حِرصاً على المسلمين، وصيانةً لحياتهم.

وانطلاقاً من هذا الأصل الراسخ؛ جاءَ هذا النَّصُّ القرآنيُّ الواضحُ الصريحُ، لينهى المسلمَ عن قتل نفسِه، ولو كان ذلك -منه- تحت أيِّ شِعار، أو وصولاً إلى آية غايةٍ؛ لأنَّ الشَّرعَ نبيلٌ، وغاياتُهُ -مثله- نُبلاً، ورفعةً؛ ولا يقولُ المسلمُ ما يقولُه - أو يفعله- غيرُ المسلم: «الغاية (تبرّر) الوسيلة»!!

قال العّلامة المفسّر أبو محمد ابن عطيّة الأندلسيّ (المتوفى سنة ٥٤٦هـ) في «المحرّر الوجيز» (٤/ ٦٤): «أجمع المتأوّلون أنّ المقصود بهذه الآية: النّهي عن أن يقتل بعض الناس بعضاً، ثم لفظها يتناول أن يقتلَ الرجل نفسه بقصدٍ منه للقتل، أو بأنْ يحملها على غَرَرٍ ربما مات منه؛ فهذا كلُّه يتناوله النهيُ.

وقد احتجّ عَمْرو بن العاص بهذه الآية حين امتنع من الاغتسال بالماء الباردِ خوفاً على نفسه منه، فقرّر رسوله الله ﷺ احتجاجه».

قلتُ: يُشير -رحمه الله- إلى حديث عَمرو بن العاص -رضي الله عنه- لّما بعثه رسول الله ﷺ عامَ ذات السَّلاسل-، قال: فاحتلمت في ليلة باردةٍ شديدة البرد، فأشفقت -إنِ اغتسلت- أنْ أهلِك، فتيمّمتُ، ثم صلّيت بأصحابي

صلاةَ الصبح، قال: فلمّا قدمنا على رسول الله ﷺ؛ ذكرتُ ذلك له، فقال: «يا عمرو! صلّيت بأصحابك وأنت جُنُبٌ؟!»، قال: قلتُ: نعم، يا رسولَ اللهِ! إني احتلمت في ليلةٍ باردةٍ شديدةِ البرد، فأشفقت -إن اغتسلت- أن أهلِك، وذكرتُ قولَ اللهِ -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾، فتيمّمت، ثم صلّيت.

فضحك رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئاً.

وقد علّق الإمام البخاريُّ في «صحيحه» الحديث (١/ ٤٥٤ - الفتح)، ووصله أحمد (٤/ ٢٠٣)، وأبو داود (٣٣٤)، والدارقطني (١/ ١٧٨)، وقوّاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ٤٥٤).

قلتُ: فهذا الاستدلالُ العلميُّ -مِن هذا الصحابيِّ الجليل- يَردُّ قولَ مَن حَصَرَ معنى الآية الكريمةَ بالقتلِ على سبيل اليأس من الحياةِ؛ انتحاراً، وتخلُّصاً!!!

فهذا حَصْرٌ لا وجه له، والعمومُ هو الأصلُ، وبخاصّةٍ مع تأيُّده بهذا الفهم السلفيِّ العزيز . .

ونقل الشهاب الآلوسي المتوفى سنة (١٢٧٠هـ) من معاني الآيةِ قولَ مَن قال: «المعنى: لا تُخاطروا بنفوسكم في القتال؛ فتقاتلوا مَن لا تُطيقونه».

قلتُ: وهذا المعنى يلتقي -تماماً- الأصلَ المتقدّمَ ذِكرُهُ من مقاصد الشرع الحنيف بحفظ النفس؛ فإنَّ مِن صُورهِ -ولا بُدّ- «سدّ الذرائع المؤدّية إلى قتل النفس»[1]، «بل قد حَرَّمَ [الشرع] ما هو أقلّ من ذلك؛ مِنَ الشتم والسبّ؛ لإفضائه إلى العداوة المفضية إلى المقاتلة»[2].

وخُلاصة القول: أنَّ الإسلام العظيم -بكلام الله -تعالى-، وحديث رسولهِ ﷺ-: حازمٌ حاسمٌ في هذا الأصل الأصيل، وليس ثمّةَ دليلٌ، ولا شبهة دليل يعكّر على الأصل عمومَه، ولا ينقض عليه شمولَه . . وما تُوُهِّم فيه عكسُ ذلك؛ فهو -حقيقةً، وعند التأمُّل- غيرُ ذلك . . .

❀ ❀ ❀

(١) «مقاصد الشريعة الإسلامية» (ص٢١٧) للدكتور محمد سعد اليوبي.

(٢) المرجع السابق.

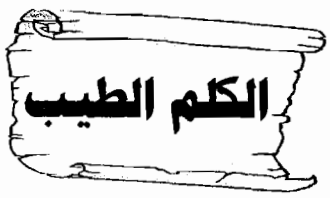

❖الحلقة الأولى

الدُّرُّ الثَّمينة
في
شرح حديث: «إذا تبايعتُم بالعِينة»

• بقلم: الشيخ أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلاً؛ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم».

توثيق الحديث:

صحيح لغيره، وقد ورد من عدة طرق عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-:

الأولى: من طريق حيوة بن شريح عن أبي عبد الله الخراساني عن عطاء الخراساني حدثه أن نافعاً حدثه عن ابن عمر . . .وذكره مرفوعاً.

أخرجها: أبو داود (٣٤٦٢)، والدَّولابي في «الكنى والأسماء» (٢/ ٦٥)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٩٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢٤١٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٦)، وأبو

نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٠٨- ٢٠٩).

قلتُ: سنده ضعيفٌ، وفيه علتان:

الأولى: أبو عبد الرحمن الخراساني، واسمه إسحاق بن أَسِيدٍ، وهو ضعيف.

الثانية: عطاء -وهو ابن أبي مسلم الخراساني-، قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يهم كثيراً، ويرسل ويدلس».

قلتُ: لكن أمنّا تدليسه هنا؛ لأنه صرح بالتحديث.

❑ قال شيخنا -رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٤٢- ٤٣/ ١١): «وتابعه فَضَالة بن حُصَين عن أيوب عن نافع . . . به.

رواه العسكري في «تصحيفات المحدثين» (١/ ١٩١)، وابن شاهين في «جزء من الأفراد» (١/ ١) وقال: «تفرد به فضالة». قلت: قال أبو حاتم: «مضطرب الحديث». قال البيهقي: «وروي من وجهين ضعيفين عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر» . . .».اهـ

قلتُ: يشير إلى الطريق الثانية: من طريق أبي بكر بن عياش، عن الأعمش، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر . . .فذكره.

أخرجه أحمد (٢/ ٢٨)، وأبو أمية الطَّرَسُوسي في «مسند ابن عمر» (٢٢)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٣).

وهذا إسناد حسن رجاله ثقات؛ غير أبي بكر بن عياش، فقد وثقه جماعة؛ لكن في حفظه شيء؛ ولا سيما في روايته عن الأعمش، فحديثه حسن، وعطاء بن أبي رباح سمع ابن عمر؛ كما عند الحاكم (٤/ ٥٤٠) بإسناد حسن، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٧٨ و١٣٦٠٥ و١٣٦١٥).

وقد كنتُ أميلُ إلى عدم سماعه من ابن عمر؛ لما ورد عن الإمام أحمد؛ كما في «المراسيل» (ص١٢٦)، وعن يحيى ابن معين، كما في «تاريخه» (٢/ ٤٠٣)، وهذا مرجوعٌ عنه، وكذلك ما انبنى عليه من أحكام واستدراكات ذكرتها في تحقيقي لـ«تحذير أهل الإيمان من الحكم بغير ما أنزل الرحمن» للإسعردي.

وقد جوَّد إسناده شيخ الإسلام -رحمه الله- كما في «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٣٠)،

ووافقه شيخنا -رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٤٣/ ١١)، وصححه ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٢٩٥ -٢٩٦ / ٢٤٨٤)، والشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في «شرح المسند» (٧/ ٢٧/ ٤٨٢٥).

وقد تعقب ابنُ التركماني البيهقيَّ -رحمهما الله- قائلاً: «ذكره ابن القطان من وجه صحيح عن عطاء عن ابن عمر فقال: نقلت من كتاب «الزهد» لأحمد بن حنبل، قال: حدثنا الأسود بن عامر: ثنا أبو بكر -هو ابن عياش-، عن الأعمش عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر . . . وذكره».

ثم قال: «ثم صححه - أعني: ابن القطان-»، وقال: «هذا إسنادٌ كلُّ رجالِه ثقات».

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في «بلوغ المرام» (٣/ ٤١- سبل السلام): «ورجاله ثقات، وصححه ابن القطان».

ولكنه عاد وتعقب ابن القطان في «التلخيص الحبير» (٣/ ١٩)، فقال:

«وعندي أن إسناد الحديث الذي صححه ابن القطان معلولٌ؛ لأنه لا يلزم من كون رجاله ثقات أن يكون صحيحاً؛ لأن الأعمش مدلِّس، ولم يذكر[1] سماعه من عطاء، وعطاء يُحتمل أن يكون هو الخراساني؛ فيكون فيه تدليس التَّسوية بإسقاط نافع بين عطاء وابن عمر، فرجع الحديث إلى الإسناد الأول، وهو المشهور»!

قلتُ: أبعد الحافظ ابن حجر -رحمه الله- النُّجْعَةَ للوجوه الآتية:

أ- هو الذي جعل الأعمش في الطبقة الثانية من المدلِّسين، «هم الذين احتمل أئمة الحديث تدليسهم».

ب- روى الأعمش أحاديث بلفظ: «عن» في «الصحيحين».

ت- لم يصف إمامٌ متقدمٌ الأعمشَ بتدليس التَّسوية.

ث- تدليس التَّسوية يسقط الضعفاء، ونافع ليس كذلك.

---

(١) في الأصل: «ينكرون»، وهو تصحيف ظاهر.

جـ- عطاء: هو ابن أبي رباح - وليس عطاءً الخراساني-؛ كما جاء صريحاً عند أحمد والطبراني.

أما الوجه الثاني الذي أشار إليه الإمام البيهقي، فهو: من طريق ليث عن عبد الملك عن عطاء قال: قال ابن عمر: أتى علينا زمان وما نرى أن أحدنا أحقُّ بالدَّنانير والدَّراهم من أخيه المسلم، حتى كان ها هنا بأَخَرةٍ؛ فأصبح الدَّنانير والدَّراهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، وإني سمعت رسول الله ﷺ . . .وذكره.

أخرجه أبو يعلى (٥٦٥٩)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٥).

قلت: ضعفه ابن القطان -رحمه الله- في «بيان الوهم والإيهام» (٥/ ٢٩٥ ٢٤٤٨)، وشيخنا -رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٤٣/ ١١)، وأعلاه بليث بن أبي سليم، وهو كما قالا؛ فإنه ضعيف؛ لتدليسه وسوء حفظه واختلاطه، ومما يدل على ذلك اضطرابه في هذا الإسناد : فقد أخرجه ابن أبي الدُّنيا في «العقوبات» (٣١٧)، والرُّوياني في «مسنده» (ق ٢٤٧ /ب)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٣- ٣١٤ و ٣/ ٣١٩) عن عطاء . . . فأسقط من بينهما: عبد الملك بن أبي سليمان.

الثالثة: من طريق أبي جناب يحيى ابن أبي حَيَّة، عن شهر بن حوشب، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ . . . وذكره.

أخرجه أحمد (٢/ ٤٢ و٨٤).

قلتُ: إسناده ضعيف؛ لضعف أبي جناب، وشهر بن حوشب.

وقد ضعفه الشيخ أحمد شاكر في «شرح المسند» (٧/ ٨٨/ ٥٠٠٧).

وقد قوى الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٥٦) الطريق الأولى بهذه الطريق، وجعلها شاهداً لها.

الرابعة: من طريق أزهر بن مروان الرَّقاشي قال: أخبرنا غسان بن بُرْزِين، قال: حدثني راشد أبو محمد الحِمَّاني، قال: قال ابن عمر . . . وذكره مرفوعاً.

أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (٢٤).

قلتُ: إسناده ضعيف؛ لانقطاعه بين راشد بن نَجِيح الحماني وابن عمر.

ولـه شاهد من حديث جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما-:

أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٥٥) من طريق بشير بن زياد الخراساني، ثنا ابن جريج، عن عطاء، عن جابر، قال: كنا في زمان وما يرى أحدنا أحقّ بالدّينار والدّرهم من أخيه المسلم، وبالله الذي لا إله إلا هو لقد سمعت ﷺ يقول . . .وذكره.

ثم قال ابن عدي -في (بشير)-: «وهو غير مشهور في حديثه بعض النّكرة.

وقال: وبشير بن زياد هذا ليس بالمعروف؛ إلا أنه يروي عن غير المعروفين ما لا يتابعه أحد عليه».

قلتُ: فالإسناد ضعيف.

وبالجملة؛ فالحديث صحيح لطرقه وشاهده، والله أعلم.

وقد قوّى الإمام ابن قيم الجوزية الحديث في «تهذيب السنن» (٥/ ١٠٤)، فقال: «وهذان إسنادان حسنان يشد أحدهما الآخر .

فأما رجال الأول؛ فأئمة مشاهير، وإنما يخاف أن لا يكون الأعمش سمعه من عطاء، أو أن عطاءً لم يسمعه من ابن عمر.

والإسناد الثاني: يبين أن للحديث أصلاً محفوظاً عن ابن عمر؛ فإن عطاءً الخراساني ثقة مشهور؛ وحيوة كذلك، وأما إسحاق أبو عبد الرحمن؛ فشيخ روى عنه أئمة المصريين، مثل: حيوة، والليث، ويحيى بن أيوب وغيرهم.

وللحديث طريق ثالث: رواه السري ابن سهيل: حدثنا عبد الله بن رشيد: حدثنا عبد الرحمن بن محمد، عن ليث، عن عطاء، عن ابن عمر . . . وذكره.

وهذا يبيِّن أن للحديث أصلاً، وأنه محفوظ».

وقال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٥/ ٣١٨) : «وهذه الطرق يشد بعضها بعضاً».

❑ غريب الحديث

«العِينة»:هو أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل، ويسلّمه إلى المشتري؛ ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر، يدفعه نقداً.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (٥/ ٣١٩): «قال ابن رسلان: هذه المبايعة عينية لحصول النقد لصاحب العينة؛ لأن العين هو المال الحاضر، والمشتري إنما يشتريها بعين حاضرة تصل إليه من فوره ليصل إلى مقصوده».

قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٢٩/ ٣٠): «ومن ذرائع ذلك (مسألة العينة)؛ وهو أن يبيعه سلعة إلى أجل، ثم يبيعها منه بأقل من ذلك، فهذا مع التواطؤ يبطل البيعين؛ لأنها حيلة».

«أخذتم أذناب البقر»: اشتغلتم بالحرث ولزمتم آلته التي تجرها الأبقار .

«ورضيتم بالزرع»: تفرَّغتم له.

«وتركتم الجهاد»: المتعين فعلُهُ.

«ذلاً»: صَغَاراً وهواناً ومسكنة.

❑ فقه الحديث:

١- تحريم بيع العِينة؛ لأنها حيلة ووسيلة إلى الربا، وقد أفاض العلامة ابن قيم الجوزية في «تهذيب السنن» (٥/ ١٠٠ -١٠٩) في بيان أدلة تحريم العينة وبيان صورها.

ورحم الله من قال: «احذروا العينة؛ فإنها لَعِينة».

٢- التّورق أن يكون مقصود المشتري الدّراهم، فيبتاع السِّلعة إلى أجل؛ ليبيعها لثالث؛ ويأخذ ثمنها.

وهذه الصورة كرهها من السلف: عمر بن عبد العزيز ، ومالك، وأحمد.

٣- الإخلاد إلى الأرض، والاشتغال بالدنيا بَريدُ الذل؛ عن أبي أمامة الباهلي قال: ورأى سكّة وشيئاً من آلة الحرث، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل هذا بيتَ قوم إلا أدخله الله الذُّل».

أخرجه البخاري (٢٣٢١).

قال شيخنا الإمام الألباني-رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٤١/ ١٠) مبيناً معنى الذُّل:

«الأول: أن المراد بالذُّل: ما يلزمهم من حقوق الأرض التي تطالبهم بها الولاة من خراج، أو عُشْر، فمن أدخل نفسه في ذلك، فقد عرضها للذّل.

الثاني: أنّه محمولٌ على من شغله الحرث والزرع عن القيام بالواجبات؛ كالحرب ونحوه، وإلى هذا ذهب البخاري؛ حيث ترجم للحديث بقوله:«باب ما يُحْذَرُ من عواقب الاشتغال بآلة الزرع، أو مجاوزة الحدِّ الذي أُمر به».

فإن من المعلوم أنَّ الغلو في السعي وراء الكسب يُلهي صاحبه عن الواجب، ويحمله على التكالب على الدّنيا، والإخلاد إلى الأرض، والإعراض عن الجهاد؛ كما هو مشاهد من كثير من الإغنياء».

٤- التّكثر من الدّنيا يفضي إلى الانصراف عن الجهاد في سبيل الله، عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا الضَّيعة؛ فترغبوا في الدنيا».

أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢/ ٥٤)، والترمذي (٢٣٢٨)، وأحمد (١/ ٣٧٧ و ٤٢٦ و ٤٤٣)، وأبو داود الطيالسي (٣٧٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٢٣٧)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١/ ١٨)، وأبو يعلى (٥٢٠٠)، وابن حبان (٧١٠)، والحاكم (٤/ ٣٢٢) من طريق شِمْرِ بن عطية، عن مغيرة ابن سعد ابن الأرقم، عن أبيه، عنه . . . به .

قلتُ: هذا إسناد ضعيف؛ فإن مغيرة ابن سعد بن الأرقم وأباه فيهما جهالة.

وللحديث شاهد عن عبد الله بن عمر؛ عزاه شيخنا -رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٤٦/ ١٢) للمحاملي في «الأمالي» (٢/٦٩) من طريق ليث، عن نافع عنه، وقال: «سنده حسن في الشواهد».

قلت: فالحديث حسن لغيره بمجموع ذلك.

قال شيخنا -رحمه الله- في «الصحيحة» (١/ ٤٦- ٤٧): « واعلم أن التّكثر المفضي إلى الانصراف عن

القيام بالواجبات -التي منها الجهاد في سبيل الله: هو المراد بالتهلكة المذكورة في قوله:﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥]، وفي ذلك نزلت الآية؛ خلافاً لما يظن كثيرٌ من الناس(!)، فقد قال أسلم أبو عمران: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية؛ وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، والروم مُلْصِقُو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل منا على العدوِّ؛ فقال الناس: مه مه! لا إله إلا الله! يلقي بيديه إلى التهلُكة! فقال أبو أيوب الأنصاري: إنما تَأوَّلون هذه الآية هكذا؛ أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة، أو يُبْلِي من نفسه! إنما نزلت هذه الآية فينا معشرَ الأنصار، لَمَّا نصر الله نبيه وأظهر الإسلام؛ قلنا بيننا خفيّاً من رسول الله ﷺ: هَلُمَّ نقيم في أموالنا ونصلحها! فأنزل الله -تعالى-:﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة:١٩٥]، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة: أن نقيم في أموالنا ونصْلحها، وندع الجهاد.

قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله، حتى دفن بالقسطنطينية.

رواه أبو داود (١/ ٣٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٩٩/ ١٠٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠/ ٢)، وابن حبان (١٦٦٧-موارد)، والحاكم (٢/ ٢٧٥) وقال: «صحيح على شرط الشيخين»! ووافقه الذهبي!

وقد وهما؛ فإن الشيخين لم يخرجا لأسلم هذا؛ فالحديث صحيح فقط» ا.هـ كلام شيخنا -رحمه الله-.

وللبحث بقية . . .

قصة أبي القرن

● بقلم: الشيخ أبي عبدالرحمن هشام العارف المقدسي

صاحبنا أبو القرن أخلص في فهم العقيدة والمنهج، فحفظ الله به العقيدة والمنهج.

في حديث أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ربيع بن عميلة قال: حدثنا عبد الله، ما سمعنا حديثاً هو أحسن منه إلا كتاب الله -عز وجل-، ورواية عن النبي ﷺ، قال . . . فذكره.

والحديث ذكره شيخنا الألباني-رحمه الله- في «الصحيحة» (٢٦٩٤)، وعنون له بقوله: «هل أصابنا ما أصابهم؟»؛ وقال: «ولكن عندي وقفة في رفعه؛ لأنه ليس صريحاً فيه، ولكنّه على كل حال في حكم المرفوع، والله أعلم».

وله شاهد مختصر جدّاً من رواية أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه، وتركوا التوراة». [أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٥٨٤)]

نص الحديث:

«إنَّ بني إسرائيل لّما طالَ الأمدُ وقست قلوبهم؛ اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم، استهوته قلوبهم، واستَحْلَتْهُ ألسنتهم، وكان الحقُّ يحول بينهم وبين

كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، فقالوا: اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل؛ فإن تابعوكم عليه فاتركوهم، وإن خالفوكم فاقتلوهم، فقال: لا، بل ابعثوا إلى فلان -رجل من علمائهم-، فإن تابعكم؛ فلن يختلف عليكم بعده أحد، فأرسلوا إليه فدعوه، فأخذ ورقة فكتب فيها كتاب الله، ثم أدخلها في قرن، ثم علقها في عنقه، ثم لبس عليها الثياب، ثم أتاهم، فعرضوا عليه الكتاب فقالوا: تؤمن بهذا؟! فأشار إلى صدره -يعني: الكتاب الذي في القرن- فقال: آمنت بهذا، وما لي لا أومن بهذا؟ فخلّوا سبيله. قال: وكان له أصحاب يغشونه، فلما حضرته الوفاه أتوه، فلما نزعوا ثيابه؛ وجدوا القرن في جوفه الكتاب، فقالوا: ألا ترون إلى قوله: آمنت بهذا، وما لي لا أومن بهذا؟! فإنما عنى بـ(هذا) هذا الكتاب الذي في القرن، قال: فاختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين فرقة، خير مِلَلِهم: أصحاب أبي القرن».

فوائد الحديث:

١) من رحمة الله -تعالى- بأمة محمد: أن لها العبرة والدرس مما وقع لبني إسرائيل، فالكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

٢) وفي الحديث أهمية معرفة السُّنَّة النّبوية، وتقصِّي حقائقها من مظانّها الصحيحة للاستفادة من القصص الذي جاء به النبي محمد ﷺ؛ خاصة عمّن حذَّرنا من أن نستنَّ بسننهم؛ اليهود والنصارى.

٣) وفي الحديث بيان واضح أن ترك اتباع الكتاب والسُّنَّة الصحيحة يؤدي إلى ضعف في الإيمان، وبمرور الوقت يعني تعدي الناس على كتاب الله -تعالى-؛ وسنة نبيه ﷺ؛ بالتّحريف، فإن لم يحرِّفوا الألفاظ؛ حرَّفوا المعاني اتباعاً للهوى.

٤) وفي الحديث بيان واضح أن الله -تعالى- يحق الحقّ بإذنه ومشيئته، فيحول بين أهل الهوى-أهل الضلال والبغي والشهوات-، وبين ما يريدون الانتصار له من البدع، والخزعبلات،

والتحريفات، والضلالات، والتعديات، واللَّمز، والغمز، والهمز.

٥) وفي الحديث فضيحة بيِّنة لهؤلاء المبتدعة أهل الضلال الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وقد وصفهم الله -تعالى- في (سورة البقرة) بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١]

نقل القرطبي في «تفسيره» عن الشعبي قال: هو بين أيديهم يقرأونه؛ ولكن نبذوا العمل به، وقال سفيان بن عيينة: أدرجوه بالحرير والديباج، وحلَّوه بالذهب والفضة، ولم يحلُّوا حلاله، ولم يحرِّموا حرامه؛ فذلك النَّبْذُ.

قال الشيخ السعدي-رحمه الله-: «وهذا أبلغ في الإعراض، كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين، وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به». ثم قال:

«ولما كان من العوائد القدسية والحكمة الإلهية: أن من ترك ما ينفعه وأمكنه الانتفاع به، ولم ينتفع؛ ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذّل لربه ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل».ا.هـ

قال الكاتب -عفا الله عنه-: كذلك هؤلاء اليهود والنصارى، لما نبذوا كتاب الله اتبعوا ما تتلو الشياطين وما تختلق من السحر، وكذلك الناظر في أحوال مجتمعاتنا الآن يرى انصراف الناس إلى السحرة والمشعوذين وأهل الضلالات والبدع؛ لأن قطاعاً كبيراً من الناس آثر ترك الحقّ، فابتلوا باتباع الباطل؛ وأكبره اتباع الشياطين، قال -تعالى- في آية بعدها: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[البقرة: ١٠٢]، ثم قال الله -تعالى- بعدها: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. [البقرة:١٠٣]

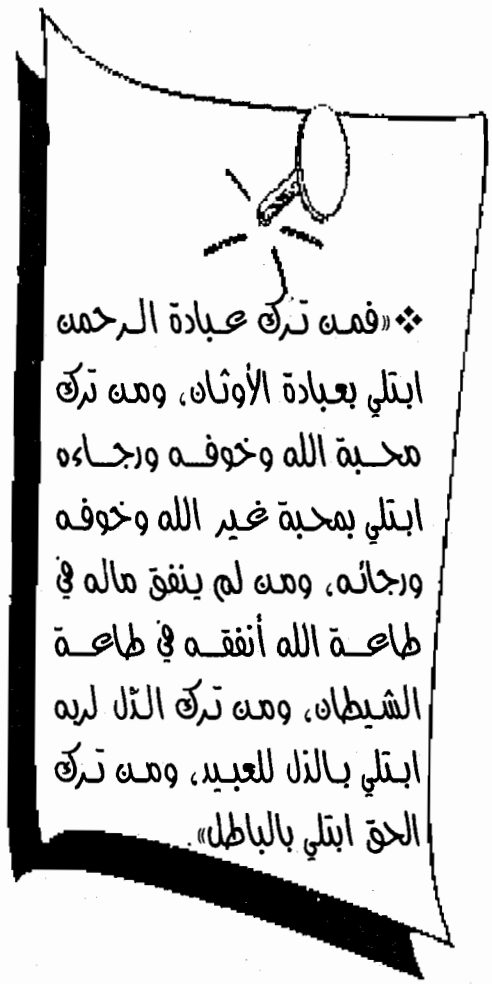

قال الشنقيطي -رحمه الله-: «ذكر الله -تعالى- في هذه الآية -يعني (١٠١) من سورة البقرة- الكريمة: أن كثيراً من اليهود نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولم يؤمنوا به، وبين في موضع آخر أن هؤلاء الذين لم يؤمنوا بالكتاب هم الأكثر، وذلك في قوله -تعالى- في (سورة آل عمران): ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران: ١١٠]

وفي (سورة آل عمران) قال -تعالى-: ﴿وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

فقوله -تعالى-: ﴿فنبذوه﴾ أي: رموه وطرحوه، وقوله: ﴿وراء ظهورهم﴾ أي: تمثيل عن قلة مبالاتهم به.

قال الشيخ أحمد بن يوسف -المعروف بالسمين الحلبي-: «لم يكتفوا بطرحه، بل لا يهُمُّون به؛ لأن الإنسان قد يرمي الشيء مع التفاته إليه».

أخرج ابن عبد البر عن مالك بن مِغْول في قوله -تعالى-: ﴿فنبذوه وراء ظهورهم﴾ قال: تركوا العمل به.

أخرج الخطيب البغدادي في كتابه «اقتضاء العلم العمل» عن عمر ابن الخطاب قوله: «لا يغرركم من قرأ

القرآن، إنما هو كلام نتكلم به، ولكن انظروا من يعمل به».

وقال الشيخ السعدي-رحمه الله-: «فأما الموفّقون؛ فقاموا بهذا أتم القيام، وعلّموا النّاس ممّا علمهم الله، ابتغاءَ مرضاة ربهم، وشفقةً على الخلق، وخوفاً من إثم الكتمان، وأما الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ومن شابههم؛ فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرُّؤاً على محارم الله، وتهاوناً بحقوقه -تعالى-، وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمناً قليلاً، وهو ما يحصل لهم -إن حصل- من بعض الرياسات والأموال الحقيرة، من سِفْلَتِهم المتبعين أهوائهم، المقدَّمين شهواتهم على الحق،﴿ فبئس ما يشترون﴾؛ لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه-وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدنيوية- أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدني الخسيس ويتركوا العالي النفيس؛ إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له.

٦) وفي الحديث بيان غرض آخر لهؤلاء الضلال متبعي الهوى، وهو حمل الناس بالقوة والشدة والإرهاب والغطرسة وحتى بالقتل- بعد التحريف الذي نالوا به كتاب الله وسنة نبيه-على الباطل الذي اخترعوه، وجاءوا به من عند أنفسهم، فإذا تابعهم الناس على الباطل تركوهم، وإن تكلم العلماء أهل العلم فيهم؛ لمزوهم وغمزوهم وقتلوهم.

٧) وفي الحديث بيان رفيع لمنزلة العلماء، وأن هؤلاء الضلال لا يخفى عليهم أهل العلم والعلماء، وهو الذي بيَّنه الله -تعالى- في الآية: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١]

٨) وفي الحديث بيان أن العلماء ينظرون بنور الله -تعالى-، ولقوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري -رحمه الله- عن أبي هريرة- رضي الله

عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: «من عادى لي وليّاً؛ فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحِبَّهُ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مَساءتَه».

٩) وفي الحديث فقه العلماء في الدِّين والواقع؛ خلافاً لما يذهب إليه المتحمسون الذين فرغوا من فقه الدين والواقع.

١٠) وفي الحديث بيان أن هذا الدِّين معلق في أعناق العلماء المخلصين وهو في قلوبهم، ويلاحظ الطالب للحق ما ورد في نص الحديث: «فأرسلوا إليه فدعوه، فأخذ ورقة فكتب فيها كتاب الله، ثم أدخلها في قرن، ثم علقها في عنقه».

وأن هذا الكتاب كتاب الله الذي كتبه، بقي معلقاً في عنقه حتى حضرته الوفاة.

١١) وفي الحديث فائدة: أن ما ذهب إليه العالم من التوراة بقوله: «فأشار إلى صدره-يعني الكتاب الذي في القرن- فقال: آمنت بهذا، وما لي لا أومن بهذا؟ فخلوا سبيله»: مشروع في دين الله -عز وجل-، وله أسوة في نبينا إبراهيم ﷺ.

والتورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كتاباً بالنسبة إليه، وإن كان كتاباً في ظاهر اللفظ بالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب.

ولو ترك التورية وأطلق عبارة الكذب؛ فليس بحرام في هذه الحال، واستدل العلماء بجواز الكذب في هذه الحال بحديث أم كلثوم-رضي الله عنها- أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً» [متفق عليه]، وزاد مسلم في رواية: «قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في

شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها».

قال الحافظ في «الفتح»(٥/ ٣٠٠): «اتفقوا على أن المراد بالكذب في حقِّ المرأة والرجل، إنما هو فيما لا يسقط حقّاً عليه، أو عليها، أو ما ليس له أو لها، وكذا في الحرب في غير التأمين، واتفقوا على جواز الكذب عند الاضطرار، كما لو قصد ظالم قتل رجل وهو مختفٍ عنده؛ فله أن ينفي كونه عنده ويحلف على ذلك، ولا يأثم، والله أعلم».اهـ

١٢) بيَّن الحديث أن هذا العالم من الربانيين، وأنه امتثل قول الله -تعالى- كما هو في سورة (آل عمران): ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾، وامتثل قوله -تعالى- كما هو في سورة المائدة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. [المائدة:٤٤]

وقوله -تعالى-: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. [المائدة:٦٣]

أخرج الخطيب البغدادي -رحمه الله- في كتابه «الفقيه والمتفقه»(١/ ٥١): «عن محمد ابن عبد الواحد قال: سألت ابن الأعرابي فقال: إذا كان الرجل عالماً، عاملاً، معلماً، قيل له: هذا رباني، فإن حُرِمَ من خصلة منها؛ لم يقل له: رباني».

فالعالم الرباني: هو الذي لا زيادة على فضله لفاضل، ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد، وقد دخل في الوصف له بأنه رباني وصفه بالصفات التي يقتضيها العلم لأهله، ويمنع وصفه بما خالفها.

ومعنى الرباني في اللغة: الرفيع الدرجة في العلم، العالي المنزلة فيه، وعلى ذلك حملوا قول الله -تعالى-:

﴿لَـــوْلا يَـــنْهَاهُمُ الرَّبَّانِـــيُّونَ وَالأَحْـبَار﴾[المائدة:٦٣]، وقوله -تعالى-: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِـتَابَ وَبِمَـا كُنْـتُمْ تَدْرُسُـونَ﴾. [آل عمران:٧٩]

وفي «تفســـير أبـــي المظفـــر السـمعاني» عـن سـعيد بن جبير قوله: «الـربّاني: الفقـيه العـالم الـذي يعمـل بعـلمه»؛ قـال السـمعاني-رحمـه الله-: «والـرباني مـن طـريق المعـنى: هـو أن يكـون عـلى ديـن الـرب، وعلى طريق الرب».

وقـال مجـاهد: «الربانـيون فـوق الأحبار، فالأحبار: العلماء، والربانيون: الذيـن جمعـوا -مـع العـلم- البصـيرة بسياسة الناس».

فالرَّباني: هوالعالم البصير بسياسة الـناس، فيربِّـيهم على صغار العلم قبل كباره على منهاج النبوة.

وقـال ابـن كـثير في قولـه تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِـتَابَ وَبِمَـا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾: «أي: ولكـن يقـول الرسـول للـناس: كونـوا ربانيين، قال ابن عباس وأبو رزين وغير واحـد: أي: حكمـاء، عـلماء، حلماء».

وقوله تعالى: ﴿تعلمون الكتاب﴾.

قـال الضـحاك: «حـقٌّ عـلى من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً».

وقـال ابـن كـثير: ﴿تعـلمون﴾؛ أي: تفهِّمـون، ﴿وبما كنتم تدرسون﴾؛ أي: تحفظون ألفاظه».

١٣) وفي الحديـث الإشـارة إلى اخـتلاف بني إسرائيل، وأنهم تفرقوا إلى إحـدى وسـبعين فرقة، كلها في النار إلا واحـدة، هي الناجية، أصحاب صاحبنا أبـي القـرن، وانتصـرت هـذه الفـرقة الناجـية بإخلاص وثبات أبي قرن، قال الله -تعـالى- في سـورة الشـورى: ﴿وَمَـا تَفَـرَّقُوا إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ الآيـة. [الشـورى: ١٤]، وقـال -تعـالى- في سـورة البيـنة: ﴿وَمَـا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِـتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:٤]

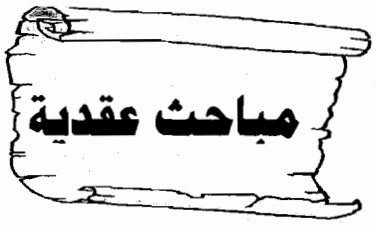

فتنة التّكفير

● بقلم: فضيلة الشيخ سعد الحصين

قبل ربع قرن ظهر اسم «التكفير والهجرة»، وكان أبرز حادث رُبط به: اغتيال أستاذي مؤلف «التفسير والمفسّرون» الشيخ محمد حسين الذّهبي -عليه رحمة الله ومغفرته-.

ومنذ البداية استنتج الباحثون أن «التكفير والهجرة» جزء منفصل من جسد «جماعة الإخوان المسلمين»، لم يستسغ أفراده تذبذب قادة «الجماعة الأم» بين الفكر الرافض وبين الواقع المشارك في اللعبة السياسية في مصر، وما تبع ذلك من مخالفة للأصل، كلما كانت الرّيح مواتية.

ومن يُلِمُّ إلماماً كافياً بفكر «سيد قطب» -رحمه الله- وهو أبرز مفكري «جماعة الإخوان»: لا يجد بُدّاً من الاعتراف بصحة هذا الاستنتاج، وإليك البرهان من نصوص فكره:

١) التكفير: كفَّر سيد قطب -تجاوز الله عنا وعنه- عامة المسلمين «والبشرية كافة»، بمن فيهم المؤذنون الذين يردِّدون «لا إله إلا الله» على المآذن؛ «ولو قدموا الشعائر لله وحده» في نصوص كثيرة، وفي أكثر من واحد من آخر مؤلفاته، منها:

أ) «ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: لا إله إلا الله». [«في ظلال القرآن» (٢ / ١٠٥٧- ط. دار الشروق]

ب) «البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله . . . البشرية بجملتها -بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات (لا إله إلا الله) بلا مدلول ولا واقع-، وهؤلاء أثقل إثماً وأشد عذاباً يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى، ومن بعد أن كانوا في دين الله ». [«في ظلال القرآن» (٢ / ١٠٥٧) -ط. دار الشروق]

جـ) «يدخل في إطار المجتمع الجاهلي: تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة؛ لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبُّدية لغير الله؛ ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها». [«معالم في الطريق» (ص١٠١) - ط.دار الشروق].

د) «الذين لا يُفْرِدون الله بالحاكميّة -في أي زمان وفي أي مكان- هم مشركون، لا يخرجهم من هذا الشرك أن يكون اعتقادهم أن لا إله إلا الله مجرد اعتقاد، ولا أن يقدّموا الشعائر لله وحده». [«في ظلال القرآن» (٢/ ١٤٩٢) - ط. دار الشروق]

هـ) «من الشرك الواضح الظاهر... الدينونة [لغير الله] في تقليد من التقاليد؛ كاتخاذ أعياد ومواسم يشرعها الناس ولم يشرعها الله، والدّينونة في زيّ من الأزياء يخالف ما أمر الله به من الستر، ويكشف أو يحدد العورات التي نصّت شريعة الله أن تستر». [«في ظلال القرآن» (٤/ ٢٠٣٣) - ط. دار الشروق]

و) «إنه ليست على وجه الأرض دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم، قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي» [«في ظلال القرآن» (٤/ ٢١٢٢) - ط. دار الشروق]

وفي مقابل إطلاقه أوصاف الجاهلية والردة والشرك على كل

المسلمين (حكاماً ومحكومين) -ولو اعتقدوا أن لا إله الله، وأدّوا شعائر العبادة لله وحده، بسبب ارتكابهم صغائر الذنوب، أو المباحات؛ باتخاذهم أعياداً ومواسم وأزياء وعادات وتقاليد ونظم حياة لم يشرعها الله-؛ قال عن عُبَّاد الأصنام والأوثان من المشركين:

«ما كان شركهم الحقيقي من هذه الجهة (عبادة الأصنام تقرباً إلى الله وطلباً للشفاعة إليه)، ولا كان إسلام من أسلم متمثلاً في مجرد التخلي عن الاستشفاع بهذه الإصنام». [«في ظلال القرآن» (٣/ ١٤٩٢) -ط. دار الشروق]

ولكنَّ الله -تعالى- يقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوت﴾، وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وفي الحديث القدسي: «يا ابن آدم! لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً؛ أتيتك بقرابها مغفرة». [رواه أحمد وغيره عن أبي ذر، ورواه الترمذي عن أنس]، وقال النبي ﷺ: «حق العباد على الله: ألا يعذِّب من لا يشرك به شيئاً». [متفق عليه]

٢) الهجر والاعتزال: كانت النتيجة المنطقية والعملية لتكفير سيد قطب جميعَ المسلمين في هذا العصر (قادتهم وشعوبهم): الدعوة إلى هجرة جماعة المسلمين، واعتزال مساجدهم في قوله -عفا الله عنا وعنه-:

«لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب؛ إلا بأن تنفصل -عقيدياً وشعورياً ومنهج الحياة- عن أهل الجاهلية من قومها، حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام يُعتصم بها، وإلا أن تشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة، وأن ما حولها ومن حولها -ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه- جاهلية وأهل جاهلية». [«في ظلال القرآن» (٤ / ٢١٢٢)]

وهذه دعوة صريحة إلى هجر جماعة المسلمين، والاستعلاء عليهم، والتعصب لفرقة منهم؛ مناقضة لأمر الله -تعالى- وأمر رسوله ﷺ بالتزام الجماعة؛ فقد قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ

وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾، وقال -تعالى-: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، وفي «صحيح مسلم»: أن النبي -صلى الله وسلم وبارك عليه- أوصى حذيفة -رضي الله عنه- أن: «يلزم جماعة المسلمين وإمامهم» عند ظهور الفتن والشرّ، قال حذيفة: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها»؛ وسيد قطب -تجاوز الله عنه- يأمر باعتزال الجماعة والإمام والمسجد ولزوم الفرقة! وفي «صحيح مسلم»-باب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن أيضاً- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: «من مات وهو مفارق للجماعة؛ فإنه يموت ميتة جاهلية». [رواه البخاري بنحوه]

وقال سيد -عفا الله عنا وعنه- في تفسير قول الله -تعالى-: ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾: «يرشدنا الله إلى اعتزال معابد الجاهلية [المساجد]، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد، تحس فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي». [«في ظلال القرآن» (٣/ ١٨١٦) - ط دار الشروق]

وصف سيد قطب -تجاوز الله عنا وعنه- بيوت الله في بلاد المسلمين اليوم بأنها «معابد الجاهلية»، ووصفها -فيما سيأتي- بأنها «مساجد الضرار»، وأوصى أتباعه باعتزالها والصلاة في البيوت؛ مخالفاً صريح الكتاب، وصحيح السنة، وسبيل المؤمنين القدوة؛ قال الله -تعالى-: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾.

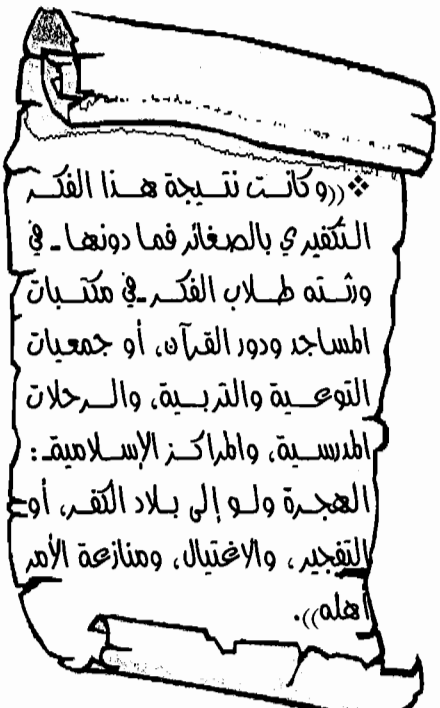

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ: أن صلاة الرجل في جماعة -في المسجد- تزيد على الصلاة في البيت وفي السوق خمساً وعشرين ضعفاً، وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة -أيضاً-: أن النبي ﷺ همَّ بحرق بيوت المتخلفين عن الصلاة الجامعة -في المسجد- عليهم .

وفي «صحيح مسلم» عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال : «من سَرَّهُ أن يلقى الله -تعالى- غداً مسلماً؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بها».

٣) الإصلاح الفكري: خطوة الإصلاح الأولى في فكر سيد قطب -عفا الله عنه-: الحكم بأنه لا وجود للإسلام ولا للمسلمين خارج حزبه: «نقطة البدء الصحيحة في الطريق الصحيحة: هي أن تتبين حركات البعث الإسلامي أن وجود الإسلام قد أوقف... هذا طريق، والطريق الأخرى: أن لا تظن هذه الحركات لحظة واحدة أن الإسلام قائم، وأن هؤلاء الذين يدعون الإسلام، ويتسمون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون...

فإن سارت الحركات في الطريق الأول؛ سارت على صراط الله وهداه...

وإن سارت في الطريق الثاني فستسير وراء سراب كاذب؛ تلوح لها فيه عمائم تحرِّف الكلم عن مواضعه، وتشتري بآيات الله ثمناً قليلاً، وترفع راية الإسلام على مساجد الضرار». [«العدالة الإجتماعية» (ص ٢١٦) -ط. دار الشروق]

وكانت نتيجة هذا الفكر التكفيري بالصغائر فما دونها - في ورثته طلاب الفكر -في مكتبات المساجد ودور القرآن ، أو جمعيات التوعية والتربية، والرحلات المدرسية، والمراكز الإسلامية-: الهجرة ولو إلى بلاد الكفر، أو التفجير، والاغتيال، ومنازعة الأمر أهله.

ردَّنا الله وإياهم إلى دينه ردّاً جميلاً، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه.

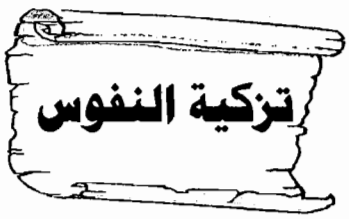

حُبُّ الرِّئاسَةِ

● بقلم: الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

أسند الدِّينَوَرِيُّ في «المجالسة» (١٨٣٠- بتحقيقي) عن الثوري قوله: «من تصدّر وهو صغير، فاته علم كثير»[١].

والصغير هنا شامل للسِّنِّ والعلم، فمن تصدر قبل أن يتأهل؛ فاته علم كثير، وترتب -في المآل- عليه وعلى من يغترُّ به شرٌّ جسيم.

وقد قرر الشاطبي[٢] أن المنسوب إلى البدعة لا يخلو أن يكون مجتهداً فيها، أو مقلداً، وقرر أن المجتهد فيها على أقسام، وأسوأهم حالاً: المدّعي، فقال عنه: «لم يصح بمسْبَار العلم أنه من المجتهدين، فهو الحريُّ باستنباط ما خالف الشرع»[٢]، وقال مبيناً سبب ذلك:

«إذ قد اجتمع له -مع الجهل بقواعد الشرع- الهوى الباعثُ عليه في الأصل؛ وهو التَّبعية؛ إذ قد تحصل له مرتبة الإمامة والاقتداء، وللنفس فيها من اللذة ما لا مزيد عليه»[٣].

(١) ذكرها ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ١٤٠) عنه أيضاً، وعزاها ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٥٧٣ رقم ١٨٣) عن المأمون قوله، وأبهم ابن الجوزي في «تعظيم الفتيا» (ص١١٧- بتحقيقي) صاحبها، فعزاها للحكماء!

(٢) في «الاعتصام» (١/ ٢٤٧- بتحقيقي).

(٣) «الاعتصام» (١/ ٢٥٢- بتحقيقي).

والشاهد من هذا النقل: أن حب الرئاسة متمكن في نفس العالم وغيره، بل في نفس من قد يصل لمرتبة الإمامة والاقتداء، ولذا قال الشاطبي عقب الكلام السابق مباشرة ما نصه:

«ولذلك يعسر خروج حبِّ الرئاسة من القلب إذا انفرد، حتى قالوا: حب الرئاسة آخر ما يخرج من رؤوس الصِّدِّيقين! [1] فكيف إذا انضاف إليه من الهوى من أصل، وانضاف إلى هذين الأمرين دليل -في ظنه-شرعي على صحة ما ذهب إليه؟! فتمكن الهوى من القلب تمكناً لا يمكن في العادة الانفكاك عنه، وجرى منه مجرى الكَلَبِ من صاحبه، كما جاء في حديث الفِرَق [2]! فهذا النَّوع ظاهرٌ أنه آثم في ابتداعه، إثم من سَنَّ سُنَّةً سيئة» [3].

(١) قارنه بـ «الموافقات» (٢/ ٣٣٣-٣٣٤ ـ بتحقيقي).

(٢) انظره مع تخريجه في تعليقي على «الاعتصام» (١/ ٢١٤).

(٣) «الاعتصام» (١/ ٢٥٢-٢٥٣ ـ بتحقيقي).

ولذا كان من أشراط الساعة ظهور رؤوس الضلال، والذين يتجرأون على الفتيا، ويتصدرون قبل أن يتأهلوا، والجامع بين أشراط الساعة [4] عدم الحصول في زمن السلف، ولذا من قرأ ما نقله ابن القيم في كتابه البديع [5] «إعلام الوقعين» [6] من ذلك؛ يجد عجباً في مقتهم لأنفسهم، وهضمهم لحالهم، وبعدهم عن حبّ الرئاسة، وتحاشيهم من الإقدام على الفتوى.

(٤) إذ قد يكون فيها المستحب والمباح؛ فضلاً عن المكروه والحرام، ولو قيل: تعتري ما أخبر عنه ﷺ من أشراط الساعة الأحكام التكليفية الخمسة؛ ما كان ذلك بعيداً، والله الموفق.

(٥) حدّثني الشيخ العلامة بكر أبو زيد -حفظه الله- قال: سمعت الشيخ فقيه الزمان العلامة عبدالعزيز بن باز -رحمه الله -تعالى- يقول: «كتاب الإسلام»: «إعلام الموقعين». . ».

(٦) فرغت من مقابلته على عدة نسخ خطية، ومن التعليق عليه وتوثيق نصوصه، وتخريج أحاديثه وآثاره، وفهرسته، وسيصدر -إن شاء الله- قريباً عن دار ابن الجوزي في ستة مجلدات؛ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد شكى العلماء قديماً من حال المدّعين للعلم في زمانهم، وأن ذلك كان يظهر على صورة شلل في مجتمعاتهم، وكانوا يصطلحون لئلا يفتضحوا، وهذا نقل واحد[1] يبين ذلك:

قال المعافى بن عمران النهرواني في كتابه «الجليس الصالح الكافي» (٤/ ٥-٦) -بعد كلام-: «ومما روي عنه ﷺ في هذا الباب إخباره أن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويظهر الجهل، وقد فشا هذا الأمر المنكر المذموم في زماننا، وصار الجاهل فيه مقدّماً متبوعاً، والعالم المتقدم في علمه مَقْصِيّاً مقموعاً؛ حتى صار يَتسرَّع إلى الفُتيا في الدين، والحكم بين المسلمين: مَنْ لم يُعنَ بدراسة الفقه، ولم يُعْرَفْ بمجالسة أهله، ولا مجاثاة الخصوم فيما اختلف أئمة الفقه فيه، ومناظرتهم ومجاراتهم ومذاكرتهم، وسألت هذه الطائفة المضلَّلة المحتقرة المسترذلةُ بعضَ من قد اشتهر طلبه للعلم، ومذاكرته واشتغاله

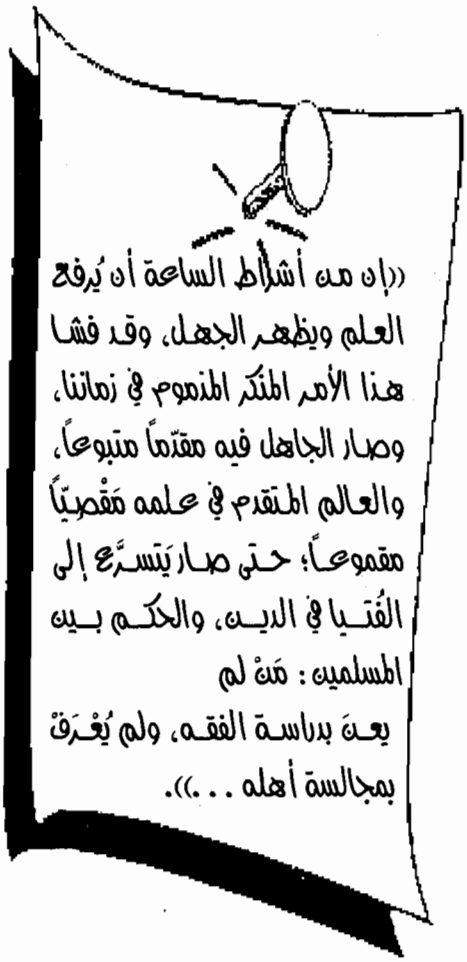

بالنظر فيه، واتفاق أصحاب له يأخذون عنه، ويرجعون إلى تلخيصه المشكل منه؛ لاختلاط بعضهم ببعض، ومعاشرتهم بعضهم بعضاً، ومالأة كل فريق منهم صاحبه على ما يُؤثره، ووقوف كل حزب منهم على ما يرغب عنه ذو الدين وينكره، فصاروا على

(١) إذ يضيق المقام عن أكثر من ذلك، والله الموفق.

الحد الذي قال في أهله مالك بن دينار: افتضحوا فاصطلحوا[1]، وكما قال الشاعر:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وِالمنكرون لكلِّ أمر منكرِ
وبقيت في خَلْفٍ يُزَيِّنُ بعضُهم
بعضاً ليدفعَ مُعورٌ عن مُعْوِرِ

ولقد بلغني أن رجلاً استفتى بعض أهل زماننا في شيء بينه وبين خصم له، فأفتاه بما فيه حجة له فيما استفتاه عنه، وإنكارٌ على خصمه ما حاول منازعته فيه، فلما ولّى لقيه بعض أنسباء الخصم المستفتى عليه، فأخذ صحيفة الفتيا من يده، وأخبر المفتي أن الذي استفتاه المستفتي فيه هو شيء همَّ الخصومُ فيه، وما أفتى به مما يكرهونه ويستضرُّونَ به، فارتجع الفتيا من صاحبها، وألحق بها ما عاد على فتياه الأولى، فنقضها وَقَلَبها عن جهتها، ولنا في هذا الفصل كلامٌ قد أثبتُّه ووصلتُهُ بأبياتٍ حضرتني، وأودعت ذلك كتابي المسمى «تذكير العاقلين وتحذير الغافلين»؛ والأبيات:

تَسَالَمَ القَوْمُ لـمَّا
عادَوْا دعاةَ السَّلامَهْ
تفاسدوا ثـمَّ أَبدوا
صُلْحاً بغيْر استقامَهْ».

ومآل المتصدر وهو صغير؛ لا يقتصر على فواته العلم الكثير-كما قررنا-، وإنما يتعداه إلى شرٍّ مستطير، وهذا الشر أول ما يصيب صاحبه، ولذا قال عبد الحميد الميموني: «ربما رأيت الحجاج بن أرطاة يضع يده على رأسه، ويقول: «قتلني حبُّ الشّرف»[2].

---

(١) ذكر محمد بن واسع حال هؤلاء، فأسند ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١٦٢) عنه قوله في جواب سؤال نصه: كيف أعرف أهل النفاق والكذب والفجور؟ فأجاب بقوله: «أولئك قوم إذا رأيتهم يأباهم قلبك، ولا يقبلهم عقلك! إذا سمعت كلامهم سمعت كلاماً حلواً له لِذاذة، ولا منفعة له، وإياك أن تصحب أهل الخلاف»، قلت: ومن أهل الخلاف؟ قال: «المفارقون لأهل السنة والكتاب، أولئك عبيد أهوائهم، تراهم مصطحبين وقلوبهم تلعن بعضهم بعضاً، فاحذر هؤلاء واجتنبهم».

(٢) أخرجه أبو علي الحراني في «تاريخ الرقة» (رقم ٢٣٦، ٣٣٤)، وهو في «تاريخ بغداد» (٨/ ٢٣١)، =

وهـولاء المقتولون بحبّ الشّرف: يَغـرُّهم سـتر الله علـيهم فـترة، ويـزيد عـندهم الـداءُ بحـبهم المـدح والثـناء، وعيشـهم في فـراغ وهـباء، دون عـناية بحقيقة حالهم ومقدار جهلهم!

قـال محمـد بـن واسـع: «إن مِـن النّاس ناساً غَرَّهم السَّتْرُ، وفتنهم الثناء، فإنْ قدرتَ أن لا يغلب جهلُ غيرك بك علمك بنفسك؛ فافعل»[1].

وقال الخطيب في «الجامع» (١/ ٣٢١): «كـان يقال: من طلب الرياسة؛ وقع في الدياسة».

قلـت: يقـال: داس فلاناً دياسة: أذله، أو وطئه برجله.

وأسـند الصـيمري في «أخبار أبي حنيفة وأصحابه» (٤٢)- وعنه الصالحي في «عقـود الجمان» (ص٣٠٢)- عن زفر عـن أبي حنيفة قال: «من طلب الرئاسة قبل وقتها عاش في ذُلٍّ».

قـال أبو عبيدة: صدق والله، وقد عاينتُ ذلك في كثير من المتصدرين غير المـتأهلين، وفي عـدد مـن المسـتعجلين الحاسدين، فأخذوا يناطحون بلا قرون، فالتحصـيلُ قلـيلٌ، والبضـاعةُ مـزجاةٌ، والـنفوسُ ذلـيلةٌ، والألسنةُ طويلةٌ، دون أداء حـقِّ الله مـن النّصـيحةِ، وإن لم تصدِّقني، فتفقد!

لو كنتَ تعلم ما أقولُ عذرتني
أو كنتُ أعلم ما تقول عذلتكا
لكن جهلتَ مقالتي فعذلتني
وعلمتُ أنك جاهل فعذرتكا

يـا هذا! تواضع ولا تتحامق ولا تـرتفع! اعرف حقّ أساتيذك ومعلّميك، وتذكـر ما أسنـده الخـطيب في«الجامـع» (٧٠٨) عـن شـعيب بـن حـرب: «من طلـب الرئاسـة؛ ناطحـته الكباش، ومن رضـي بـأن يكـون ذنـباً؛ أبى الله إلا أن يجعله رأساً».

والـذي نفسـي بيده؛ لو أن الأمة جمـيعها -إنسـها وجـنها، صـغيرها وكـبيرها، عالمهـا وجاهـلها- أرادت أن تـرفع مـن وضع اللهُ ما استطاعت، ولو

= و «العلـل ومعـرفة الـرجال» (٢٤٥-الهـندية)، و«التهذيب» (٢/ ١٩٦).

(١) أسـنده ابـن عسـاكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١٦١)

أنها أرادت أن تضع من رفع اللهُ ما قدرت، وصدق رسول الله ﷺ: «حقٌّ على الله -عز وجل- أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»؛ أخرجه البخاري (٢٨٧١، ٦٥٠١) وغيره.

قال ابن القيم في «الفروسية» (٩١- بتحقيقي): «قلت: تأمل قوله: «من الدنيا»، فجعل الوضع لما رفع وارتفع، لا لما رفعه سبحانه؛ فإنه سبحانه إذا رفع عبده بطاعته، وأعزه بها؛ لا يضعه أبداً» انتهى.

قلتُ: وحبُّ الرئاسة من الدنيا بلا شك؛ لأن سببها العُجبُ، وصدق من قال: «العجب يهدم المحاسن»، و«إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله»، و«لا ترى المعجب إلا طالباً للرئاسة » قال أبو نعيم: «والله ما هلك من هلك إلا بحب الرئاسة»، وقال فضيل بن عياض: «ما من أحد أحبَّ الرئاسةَ إلا حَسَدَ، وَبَغى، وتتبَّع عيوب النّاس، وكره أن يُذكر أحدٌ بخير»، نقلها ابن عبد البر في «الجامع» (٢/ ٥٧١).

قال أبو عبيدة: يا هذا! اتهم نفسك لتنجو؛ وإلا فأنت على خطرٍ عظيمٍ، ولا تحسبنَّ نفسك بمعزل عن هذا الداء، ولا نجاة فيمن هذا شأنه، ولذلك قالوا: «حبُّ الرئاسة آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين»، وصدقوا، أفاده الشاطبي في «الموافقات» (٢/ ٣٣٤- بتحقيقي).

المالُ آفتُهُ التبذيرُ والنَّهْبُ
والعلمُ آفتُهُ الإعجابُ والغَضَبُ

❐ وقال أبو العتاهية:

حُبُّ الرئاسةِ أطغى مَنْ على الأرضِ
حتى بغى بعضُهم فيها على بعضِ

❐ وقال بكر بن حمد:

تغاير الناسُ فيما ليس ينفعُهم
وفرَّقَ الناسَ آراءٌ وأهواءُ

❐ وقال ابن عبد البر:

حبُّ الرئاسةِ داءٌ يحلق الدينا
ويجعل الحقَّ حرباً للمحبّينا
يفري الحلاقيم والأرحام يقطعها
فلا مروءة تبقى ولا دينا
مَنْ دان بالجهل أو قَبِلَ الرسوخ فما
تُلْفِيهِ إلا عدوّاً للمُحِقّينا
يشئ العلوم ويلقي أهلها حسداً
ضاهى بذلك أعداء النبيِّينا

وصدق الثوري؛ فقد أخرج الخطيب في «الجامع» (٧٠٧) عنه: «تحب الرئاسة! تهيّأ للنِّطاح».

قال أبو عبيدة : بَلَوْتُ كثيراً من المرموقين في زماننا هذا، فوجدت هذا الداء متمكّناً فيهم، أسأل الله أن يعافيني منه، وتبرهنَ لي من خلال ما شاهدت وعلمت صدقَ مقولة إسحاق بن خلف: «والله الذي لا إلاله إلا هو؛ لإزالة الجبال الرواسي أيسر من إزالة الرئاسة».

ولا خلاص ممن تمكن منه هذا الداء إلا الإخلاص لله، وهضم النفس على عادة السلف.

حبُّ الرياسة داءٌ لا دواء لَهُ

وقلّ ما تجد الرّاضين بالقَسْم

وأصغِ -أُخيّ!- إلى ما قلتُ؛ ففيه حقٌّ وعدلٌ، وتأمل أبيات بشر بن المعتمر:

إن كنتَ تعلم ما أقو

لُ وما تقول فأنت عالِمْ

أو كنتَ تجهل ذا وذا

كَ فكن لأهل العلم لازِمْ

أهلُ الرياسة مَنْ يُنا

زِعُهُمْ رياسَتَهُمْ فظالِمْ

لا تطلبنَّ رياسةً

بالجهل أنت لها مخاصِمْ

لولا مقامُهمُ رأيـ

ـت الدين مضطرب الدعائمْ

□ وقال منصور الفقيه:

الكلب أكرم عشرةٍ

وهو النهاية في الخساسةْ

ممن تعرض للريا

سة قبل إبّان الرياسةْ

وأسند الخطيب في «الجامع» (٧١١)، وابن الجوزي في «تعظيم الفتيا» (رقم٥٩- بتحقيقي) بسنديهما إلى يزيد بن هارون قال: «من طلب الرِّئاسة في غير أوانها؛ حرمه الله إياها في أوانها».

وليعلم المؤمن أنَّ الرِّئاسة على الحقيقة: هي تقوى الله -عز وجل-! وقد قيل للإمام أحمد -رحمه الله-: إن معروفاً الكرخي قليل العلم، فقال: «وهل يراد العلم إلا لما وصل إليه معروف؟»، أسنده ابن الجوزي في «مناقب معروف» (ص٨٦-٨٧).

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

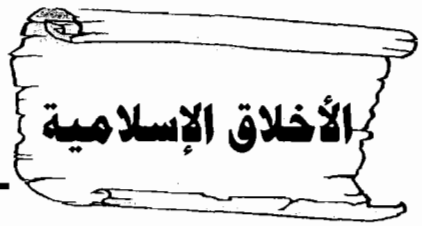

❖ الحلقة الأولى

الوَفَاءُ بالعَهْدِ والوَعْدِ

● بقلم: الأستاذ محمود سلامة المُهر

إنّ الوفاء بالعهد والوعد خُلُقٌ عظيمٌ، ما انتشر في أُمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات؛ إلا كانت تلك الأمة أو ذلك المجتمع قويّاً متماسكاً، يسوده الأمن، والأمان، والطمأنينة، والتعاون، والتراحم، والألفة، والمودة بين أفراده؛ فغدا مجتمعاً له مكانته بين الأمم والشعوب.

وما خلت منه أُمّة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات؛ إلا كان مجتمعاً متفككاً ضعيفاً يسوده الخوف، والقلق، والاضطراب، والأنانية، والحقد، والحسد، والنزاع، والشقاق؛ فكان مجتمعاً ذليلاً، لا قيمة له بين الأمم والشعوب الأخرى.

ولّما كان هذا الخلق بهذه الأهمية؛ كان لِزاماً على كلِّ مسلم أن يقف على هذا الخلق من جميع جوانبه، ليعمل بما يُرضي الله -عز وجلّ- فيه؛ ليفوز برضوان ربه -عز وجل- ويَسْلَمَ من سخطه وأليم عِقابه.

ونصحاً مني لإخواني المسلمين؛ فقد قمت بجمع هذه الرسالة اللطيفة، وهي صغيرة الحجم، كبيرة الفائدة، عظيمة النفع، كبيرة العائدة، من باب الذكرى و﴿الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وتذكرةً لمن ﴿أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، سائلاً اللهَ -عز وجل- أن ينفع بها إخواني المسلمين، وأن يجعلها لي ذخراً ونجاةً يوم الدين ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ. إلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

وقد تناولت في رسالتي -هذه- هذا الخُلُقَ من حيث:

١) معنى الوفاء بالعهد والوعد؛ لغةً واصطلاحاً.

٢) حكمه، وذكر أدلته من الكتاب والسنة، وأقوال بعض أهل العلم.

٣) بيان أنّ هذا الخُلق هو خُلُقُ النبيين والصالحين والمؤمنين:

أ- ذكر أمثلة من سيرة بعض الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

ب- من سيرة سلف هذه الأمة من الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين-.

٤) بيان أن نقض العهد والوعد بغير عذر شرعي خُلق الكفار والمنافقين والملاحدة، وذكر أمثلة من نقض العهود.

والتنبيه على ما يذكره كثير من المفسرين في مناسبة الآيات ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [التوبة:٧٥]، وبيان ضعف الحديث الوارد بذلك.

٥) ذكر الحالات أو الأعذار التي يجوز فيها نقض العهد ومقاتلة الأعداء:

أ- إذا نقض الأعداء عهدهم.

ب- الخوف من قوم بيننا وبينهم ميثاق؛ فينبذ إليهم عهدهم.

جـ- إذا انقضت مدةُ العهد بيننا وبينهم.

د- الطعن في ديننا وإسلامنا.

٦) الآثار المترتبة على نقض العهود بغير عذر شرعي:

أ- سبب في انتشار القتل والسبي بين أفراد الأمة، وجعل بأسهم بينهم.

ب-سبب في تسليط الكفار؛ ليأخذوا بعض ما في أيدي المسلمين.

٧) عقاب الذين ينقضون عهودهم ومواثيقهم بدون عذر شرعي في الدارين:

أ- في الدنيا:

١- بغض اللهِ -عز وجل- لهم.

٢- بغض أهل السماء لهم كذلك.

٣- وضع البغضاء لهم في الأرض.

ب- في الآخرة:

١- دخول النار والعذاب الأليم فيها.

٢- اللعن والطرد من رحمة الله -عز وجل-.

٣- اللواء الذي يُرفع عند استه ؛ بياناً وإعلاماً لغدره.

٨) الأجر العظيمُ للَّذين يوفون بعهودهم ومواثيقهم:

أ- في الدنيا:

١- محبة الله لهم.

٢- وضع القبول لهم في الأرض.

٣- محبة أهل السماء لهم.

ب- في الآخرة:

١- الأجر العظيم الذي ينالونه يوم الدين.

٢- دخول الجنة.

٩) خاتمة هذه الرسالة.

وأسأل الله -عزّ وجلّ- أن ينفعني بهذا وإخواني المسلمين جميعاً، وأن يجعله من العلم النافع الذي أنتفع به في حياتي، وبعد مماتي، إن ربي سميع قريب مجيب.

❑ معنى الوفاء لغة:

جاء في «لسان العرب» (٦/ ٣٩٨): «وفى: الوفاء ضدّ الغدر، ويقال: وَفَى بعهده وأوفى بمعنى».

وجاء في «القاموس المحيط» (ص١٧٣١): «وَفَى بالعهد كَوَعَى وفاءً: ضِدُّ غَدَرَ: كأَوْفَى، والشيء وُفِيّاً كصُلِيٍّ: تمّ وكَثُرَ، فهو وَفِيٌّ ووافٍ».

وجاء في «المعجم الوسيط»: «وفى بعهده: عمل به».

وجاء في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٢١٠-٢١١): «وفى الشيء، ووفّى: إذا تمّ وكمل».

وبنحوه في «معجم مقاييس اللغة» (٦/ ١٢٩).

❑ معنى العهد لغة:

جاء في «لسان العرب» (٣/ ٣١١): «عهد: . . . كلُّ ما عوهد اللهُ عليه، وكلُّ ما بين العباد من المواثيق؛ فهو عهد».

وجاء في «القاموس المحيط» (ص٣٨٧): «العهد: الوصية والتقدم إلى المرء في الشيء، والموثق واليمين . . . ورعاية الحرمة والأمان، والذمة والالتقاء، والمعرفة والزمان، والوفاء، وتوحيد الله، ومنه ﴿إِلا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾»، وبنحوه في «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ١٦٧).

❑ الوعد لغة:

جاء في «لسان العرب» (٢/ ٤٦١): «وعده الأمر وبه عدة وموعوداً ووعداً وموعداً وموعودةً».

ويقال: «الوعد: وعده الأمر به وعداً . . مَنَّاهُ به».

وجاء في «مختار الصحاح» (ص٧٢٨): «الوعد: يستعمل في الخير والشر . . . تواعد القوم؛ أيّ: وعد بعضُهم بعضاً، هذا في الخير، وأما الشر فيقال: اتَّعدوا . . . والتوعُّد: التهدد».

وبنحوه في «معجم مقاييس اللغة»(٦/ ١٢٥).

❑ والوفاء بالعهد والوعد اصطلاحاً: هو إتمام وإنجاز جميع العهود والمواثيق التي بين العبد وربه -عزّ وجلّ-، وبين العبد والعباد فيما أحلَّته الشريعة الإسلامية وأجازته.

❑ حكم الوفاء بالعهد والوعد:

لقد جاءَت نصوص الكتاب العزيز، والسنة المطهرة متضافرةً على الأمر بالتزام هذا الخلق العظيم، قال -سبحانه وتعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١]، وقال -سبحانه-: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء:٣٤]، وقال -سبحانه-: ﴿وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال -سبحانه-: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً﴾ [النحل:٩١]، قال النبي ﷺ: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك». [«صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩)]، وقال النبي ﷺ: « . . . اغزوا ولا تَغُلُّوا، ولا تغدروا . . .». [«مسلم بشرح النووي» (١٢/ ٣٧)]

قلتُ: فهذه نصوص الكتاب والسنة تأمر بالالتزام بهذا الخلق العظيم، والأمر يفيد الوجوب كما يقول الأصوليون؛ إلا إذا جاء صارف يصرفه عن الوجوب، ولا صارف هنا عن الوجوب؛ بل الأدلة تؤكد ذلك وتحضُّ عليه.

❑ أقوال العلماء في الوفاء بالعهد والوعد:

يقول الإمام ابن كثير -رحمه الله- في قوله -جلّ وعلا-: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ

تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: من الآية٩١]، قال -رحمه الله-:

«هذا مما يأمر الله -تعالى- به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق، والمحافظة على الأيمان المؤكدة» [٢/ ٦٤٣].

ويقول الإمام القرطبي عند قوله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾الآية [المائدة: ١]: «فإنها تضمنت خَمسَة أحكام؛ الأول: الأمر بالوفاء بالعقود». [«الجامع لأحكام القرآن» (٣/ ٤)]

وقال الإمام النووي -رحمه الله- عند حديث النبي ﷺ: « . . اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا . . .» [«شرح مسلم» (١٢/ ٣٧)]: «وفي هذا الحديث فوائد مجمعٌ عليها؛ وهي تحريم الغدر».

ويقول الشيخ صالح بن فوزان -حفظه الله-: «والغدر بالعهود حرام، ولو كانت المعاهدة مع الكفار؛ فقد أمر الله بالوفاء بعهودهم إذا قاموا عليها، ولم ينقصوا منها شيئاً». [«الخطب المنبرية» (١/ ١٩٧)]

قلت: فهذه نصوص الكتاب والسنة وأقوال بعض أهل العلم تدل على وجوب الوفاء بالعهد والوعد.

❑ بيان أنّ هذا الخُلق هو خُلقُ النبيين والصالحين والمؤمنين:

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾ [مريم:٥٤]، قال ابن كثير -رحمه الله-: «هذا ثناء من الله -عز وجل- على إسماعيل بن إبراهيم الخليل -عليهما السلام- وهو والد عرب الحجاز كلّهم: بأنه كان صادق الوعد، قال ابن جريج: لم يعد ربه عدة إلا أنجزها». [٣/ ١٣٩]

وقال -سبحانه-: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم:٣٧]، وقال -سبحانه-: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:٨]، وقال -سبحانه-: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد:٢٠]، قال القرطبي -رحمه الله- في هذه الآية: «هذا من صفة ذوي الألباب؛ أي: إنّما يتذكر أولو الألباب الموفون بعهد الله.

والعهد اسم للجنس؛ أي: بجميع عهود الله؛ وهي أوامره ونواهيه التي وصّى بها

عبيده، ويدخل في هذه الألفاظ التزام جميع الفروض، وتجنب جميع المعاصي». [٩/ ٢٦٨]

أ) في ذكر أمثلة من سيرة بعض الأنبياء في وفائهم بعهودهم:

١) فهذا نبينا ﷺ الذي كان خلقه القرآن، وقد مدحه الله -جل وعلا- حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، يفي لأعدائه بعهدهم؛ وهو في أشدِّ الظروف، وأحلك الأوقات؛ وهو قد تألَّبوا عليه ليقتلوه.

روى الإمام مسلم عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- قال: ما منعني أنْ أشهد بدراً؛ إلا أني خرجتُ أنا وأبي (حُسَيْلٌ) قال: فأخذنا المشركون، قالوا: إنكم تريدون محمداً ﷺ! فقلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منّا عهد الله وميثاقه لننصرفنَّ إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر، فقال: «انصرف؛ ونفي لهم بعهدهم، ونستعين اللهَ عليهم».

[مسلم بشرح النووي (١٢/ ١٤٤)، والحاكم، وأحمد، وانظر «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢٢٤)]

ومن وفائه مع أزواجه -حتى بعد ممات إحداهنّ-: ما روى الترمذي عن عائشة، قالت: ما غِرتُ على أحد من أزواج النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما بي أن أكون أدركتها، وما ذاك إلا لكثرة ذكر رسول الله ﷺ لها، وإن كان ليذبح الشاة فَيَتَّبعُ بها صدائق خديجة لهنَّ. [«صحيح سنن الترمذي» (٢/ ١٩٦)]

قلت: وكيف لا يكون ﷺ كذلك؛ وهو القائل لعائشة يوم دخلت عليه المرأة العجوز، فقال لها: «من أنت؟». فقالت: أنا جثامة المزنية. فقال: «حسّانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟». قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فلما خرجت، قالت عائشة: يا رسول الله! تُقْبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال: «إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان». [«السلسة الصحيحة» (١/ رقم٢١٦١)]، وهو القائل ﷺ: «إني لا أَخيسُ بالعهد، ولا أحبسُ البرد . . ..». [«السلسلة الصحيحة»(٢/ ٣٢٣) و «سبل السلام» ٤/ ٦٤]

ومعنى «لا أخيس»: أي: لا أنقضه. [انظر «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٩٢)]

والقصة الثانية من قصص الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-: قصة موسى كليم الرحمن -عزّ وجلّ- يوم خرج من مصر بعد ما قتل القبطي فاراً من فرعون وجنوده أن يأخذوه به، فلما وصل -عليه السلام- إلى ماء مدين وسقى للمرأتين، وجلس تحت ظل شجرة للراحة من وَعْثاءِ السفر؛ جاءته إحداهما تدعوه لوالدها ليجزيه على معروفه خيراً؛ كما ذكر ذلك ربّنا في كتابه: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ. قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾. [القصص: ٢٥ـ ٢٨]

فوفى كلٌّ منهما لأخيه ما وعده به؛ فقضى موسى أحسن الأجلين وأفضلهما، وأبرهما، فقد جاء عن النبي ﷺ قال: «سألت جبريل: أيَّ الأجلين قضى موسى؟ قال: «أكملهما وأتمهما». [«ترتيب صحيح الجامع» (٢/ ٨٣)]

وروى البخاري عن سعيد بن جبير قال: سألني يهودي من أهل الحِيرة، أيَّ الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أدري حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فسألتُ ابن عباس؟ فقال: قضى أكثرهما وأطيبهما، إنّ رسول الله إذا قال فعل. [القرطبي (١٣/ ٢٥١)، وابن كثير (٣/ ٤٢٥)]

ب) ذكر أمثلة على الوفاء بالعهد والوعد من سيرة خير القرون: أصحاب محمد ﷺ:

قصة أنس بن النضر -رضي الله عنه-:

كان أنس بن النضر -رضي الله عنه- قد تغيّب عن غزوة بدر الكبرى فلم يشهدها، ولا عتبَ عليه في ذلك، ولا لوم، ولا على غيره من الصحابة ممن لم

يشهدوا تلك الغزوة؛ لأن لهم عذرهم، فالنبي ﷺ لم يستنفرهم للقتال؛ وإلا لما تخلّف منهم رجل واحد، وإنما ندب النبي ﷺ نفراً من أصحابه لملاقاة عِير لقريش لأخذها والاستعانة بها، وذلك أنّ قريشاً قد طردتهم من مكة المكرمة، واستولت على أموال كثير منهم، فجمع الله -عز وجل- بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد بينهم، وكان النصر لأولياء الله -عزّ وجلّ-، فتألّم هذا الصحابي وتحسّر، وندم ندماً شديداً أنه لم يشهد أوّل مشهد في الإسلام يُعزّ اللهُ به جنده وأولياءه.

فعاهد أنس ربَّه -عزّ وجلّ- لئن أشهده اللهُ مشهداً؛ ليرينَّ الله -عزّ وجلّ- ما يصنعُ أنس، وصدق أنسٌ -والله- فيما عاهد عليه ربّه -عزّ وجلّ-.

روى الإمام مسلم عن أنس قال: «عمي الذي سُمِّيتُ به؛ لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدراً، فَشَقَّ عليه، قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غُيِّبتُ عنه! وإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ؛ ليراني الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها، قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ، فقال: له أنس يا أبا عمرو! أين؟ فقال: واهاً لريح الجنة! أجده دون أحد، فقال: فقاتلهم حتى قتل، قال: فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية، قال فقالت عمّتي أُخته (عمة الرَّبيع بنت النضر): ما عرفت أخي إلا ببَنانه، ونزلت هذه الآية ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:٢٣]

قال: فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه». [«مسلم بشرح النووي» (١٣/ ٤٦-٤٧)]

ومعنى واهاً لريح الجنة: كلمة تحنٍ وتلهف.

- القصة الثانية من سيرة سلفنا الصالح في الوفاء بالعهد والوعد:

ما روى الإمام مسلم وأبو داود وغيرهما عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعةً، أو ثمانيةً، أو سبعةً، فقال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ» -وكنا حديثَ عهد ببيعة-،

فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ»، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله! ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله ﷺ»، قال: فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا -وأسرَّ كلمة خفية-، ولا تسألوا الناس شيئاً»، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم؛ فما يسأل أحداً يناوله إياه. [«مسلم بشرح النووي» (٧/ ١٣٢)، و«صحيح سنن أبي داود» (١/ ٣٠٩)]

فانظر -رحمني الله وإياك- يا أخي المسلم! كيف كان سلفنا الأول وقّافين عند شرع الله -جل وعلا-، فهاهم يلتزمون بعهودهم ووعودهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، كما كانوا مسارعين إلى فعل الخيرات وعمل الصالحات، فنالوا بذلك رضوان ربهم -سبحانه-.

حشرني الله وإيّاك وإخواننا المسلمين في زمرتهم تحت لواء نبينا محمد ﷺ. آمين.

❑ نقض العهد وعدم الوفاء به من غير عذر شرعي؛ خُلُق المنافقين والكافرين:

قال -سبحانه-: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:١٠٠]، وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٦]، وقال -سبحانه-: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ. فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾. [التوبة:٧٥-٧٧]

قال النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». [رواه «البخاري -فتح» (١/ ٨٩)، و«مسلم - شرح النووي (٢/ ٤٦، ٤٧»]، وقال النبي ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له». [رواه أحمد والبزار،

والطبراني في «الأوسط»، وابن حبان - «ترتيب صحيح الجامع» (٣/ ١٣٦)]

❑ ذكر أمثلة من نقض الكفار والمنافقين عهودهم بغير عذر شرعي:

ـ بنو قريظة:

لقد عقد معهم النبي ﷺ حين قدم إلى المدينة عهداً ألا يعينوا عليه أحداً، وأن يدافعوا عن المدينة النبويَّة مَنْ دهمها من الأعداء، إلا أنّ هؤلاء القوم -كما هو شأنهم- نقضة عهودٍ ومواثيق، ففي غزوة الأحزاب نقضوا العهد، وساعدوا الكفار، فبعد تلك الغزوة حاصرهم النبي ﷺ خمسة وعشرين يوماً وأرسل إليهم أبا لبابة ابن المنذر، فنزلوا على حكم سعد بن معاذ -رضي الله عنه-.

روى ذلك أهل السير؛ كابن هشام في «سيرته» (٣/ ١٤١-١٤٧)، وابن كثير في «الفصول في اختيار سيرة الرسول ﷺ» (ص٩٩-١٠٣).

فحكم فيهم سعد -رضي الله عنه- بأن يقتل من جرت عليه الموسى، وأن تُقْسَمَ أموالهم وذراريهم، فقال رسول الله ﷺ: «لقد حكم فيهم اليوم بحكم اللهِ الذي حكم به من فوق سبع سماوات».

[أخرجه النسائي في «المناقب الكبرى»، وابن سعد في «الطبقات»، والطحاوي في «شرح المعاني»، والحاكم، وعبد بن حميد وغيرهم، «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦/ ٥٥٦-٥٥٧)]

ـ قصة طائفة من المنافقين الذين عاهدوا ربهم -عزّ وجلّ- فلم يَفُوا:

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. [التوبة:٧٥-٧٦]

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في هذه الآيات: «يقول -تعالى-: ومن المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه من فضله ليصدّقنَّ من ماله وليكونن من الصالحين، فما وفى بما قال، ولا صدَق فيما ادَّعى، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقاً سكن في قلوبهم إلى يوم يلقون الله -عزّ وجلّ- يوم القيامة؛ عياذاً بالله من ذلك». [«تفسير ابن كثير» (٢/ ٤١١)]

قال صاحب كتاب «روائع حضارتنا» (ص٨٨-٨٩):

«٣- . . . حين وصل الصليبيون في الحملة الثانية إلى معرة النعمان؛ حاصروها حتى اضطر أهلها للاستسلام، بعد أن أخذوا من رؤساء الحملة عهوداً مؤكدة بالمحافظة على النفوس والأموال والأعراض، فما كادوا يدخلونها حتى ارتكبوا من الفظائع ما تشيب له الولدان.

وقدَّر بعض المؤرخين الإفرنج -الذين كانوا في هذه الحملة- عدد الذين قتلوهم بين رجال ونساء وأطفال: بمئة ألف! ثم تابعوا سيرهم إلى بيت المقدس، وشددوا الحصار على أهلها، ورأى أهلها أنهم مغلوبون لا محالة، فطلبوا من قائد الحملة (طنكرد) الأمان على أنفسهم وأموالهم، فأعطاهم رايته يرفعونها على المسجد الأقصى، ويلجأون إليه آمنين على كلِّ شيء، ودخلوا المدينة بعد ذلك؛ فيا لهول المجزرة، ويا لقسوة الإجرام! . . . لجأ سكان القدس إلى الأقصى الذي رفعوا فوقه راية الأمان، حتى إذا امتلأ بمن فيه من شيوخٍ وأطفالٍ ونساء؛ ذبحوا ذبح النِّعاجِ، فسالت الدّماء في المعبد، حتى ارتفعت إلى ركبة الفارس، وطهرت المدينة بذبح كلٍّ من فيها -تماماً-، حتى كانت شوارعها تعجُّ بالجماجم المحطمة والأذرع والأرجل المقطعة، والأجسام المشوَّهة، ويذكر مؤرخونا: أنّ عدد الذين ذبحوا داخل المسجد الأقصى -فقط- سبعون ألفاً، منهم جماعة كبيرة من الأئمة والعباد، والزهاد، فضلاً عن النساء والأطفال، ولا ينكر مؤرخو الإفرنج هذه الفظائع، وكثير منهم يتحدثون عنها فخورين!!

وبعد (٩٠سنة) من هذه المجزرة؛ فَتَحَ صلاحُ الدين بيت المقدس؛ فماذا فعل؟

لقد كان فيها ما يزيد على مئة ألف من الإفرنج؛ بذل لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وسمح لهم بالخروج لقاء مبلغ قليل يدفعه المقتدرون منهم، وأعطاهم مهلة للخروج أربعين يوماً . . . ».

قلتُ: هذه أخلاق الكفار والمنافقين على مرّ التاريخ: نقضةُ عهود ومواثيق، وسفكة دماء، طهر الله البلاد والعباد من رجسهم وكيدهم اللئيم.

❑ بيان أنّ ما يذكره بعض المفسرين في مناسبة الآيات آنفة الذكر، وأنها نزلت في ثعلبة بن حاطب الصحابي الجليل -رضي الله عنه- غير صحيح:

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله- (٨/ ١٣٣-١٣٤): «وقد ذكر بعض المفسرين أن سبب نزول هذه الآيات في ثعلبة بن حاطب، وثعلبة بدريٌّ أنصاريٌّ، وممن شهد اللهُ له ورسوله بالإيمان، . . . فما رُوي عنه غير صحيح».

وقال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٦٦) -في الحديث الوارد بذلك-: «لكنّه حديث ضعيف لا يحتج به».

وقد ألّف الأخ الفاضل الشيخ سليم الهلالي كتاباً في الردّ على ذلك سمّاه بـ:«الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي الجليل ثعلبة بن حاطب -رضي الله عنه-»، وهو كتاب نفيس في بابه، قد أجاد فيه مؤلفه وأفاد، جزاه الله خيراً، فمن شاء المزيد فعليه به.

وللبحث بقية . . .

❖ «واعلم أنه لا أدب كأدب رسول الله ﷺ، ولا خلق كأخلاقه؛ فمن وفقه الله أعانه على البحث على أخلاقه والاقتداء به؛ ليتخلق منه بما يقدر عليه ويصل إليه، وما من أحد إلا وقد همّ ولمّ، فيا سعادة من اقتدى به، واستنّ بسيرته، وأخذ بطريقته، وامتلأ قلبه من محبته، في دق ذلك كلّه وجلّه، وكثره وقله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾، ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾، وكيف لا يكون كذلك وقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وكان خلقه الممدوح بالعظمة واتباع القرآن، والقرآن مشتمل على الأمر باتباعه ﷺ فيما جاء به من كتاب أو سنة».

[«قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (١/ ١٠٨)]

❖الحلقة الثانية

مآخذ منهجية على د. سفر الحوالي

• بقلم: فضيلة الشيخ د. ربيع بن هادي المدخلي

إن في استقصاء تناقضات الشيخ سفر الحوالي صعوبةً ومشقة تحتاج إلى زمن طويل؛ غير أني سوف أعرض بعض ذلك حسب تيسير الله، قاصداً بذلك نصحه ونصح من لا يميز بين الحق والباطل، والصواب والخطإ، راجياً من وراء ذلك الجزاء الأوفى من الله، على القيام بواجب الأمانة والبيان، والخروج من غضب الله ووعيده على الكتمان .

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩]

وليوضع كلٌّ من أهل الحقِّ وأهل الضلال في الموضع الذي يستحقه ، تحقيقاً للعدل والإنصاف، فلا يرفع الوضيع فوق منزلته، ولا يهبط بالرفيع تحت منزلته.

أولاً: قال الشيخ سفر -هداه الله- (ص٨٢-٨٣):

«إنه لا خلاف بين فقهاء الإسلام في أن الهَزلَ بالكفرِ كفرٌ، وإنِ اختلفوا في الهزل في سائر الأحكام؛ كالبيع، والطلاق، والعتاق، وهذه الآية من أقوى الأدلة على ذلك.

وقد بقي هذا الإجماع محفوظاً نظرياً في كتب الفقه حتى المتأخر منها، أما في الواقع العملي؛ فإن استمراء الإرجاء وانحسار مفهوم الإيمان، وغموض مفهوم الكفر، والغفلة عن كثير من ضروبه وأنواعه: جعل الأمة الإسلامية تغفل عن تكفير المرتدين قصداً وجهاراً، فضلاً عن الهازلين الساخرين، إلا من سار منها على منهج أهل السُّنَّة والجماعة، وهم في العصور المتأخرة قليل، بل إن هؤلاء القليل عندما يدعون إلى تصحيح الإيمان وتجلية معانيه، ويبينون للأمة الكفر وضروبه وخطره: نجدها تقف في وجوههم متهمة إياهم بتكفير المسلمين، كما حصل لشيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب والشهيد سيد قطب – رحمهم الله – وأمثالهم، ويُعْرِضون عن تصريح هؤلاء العلماء بأنهم لا يقصدون تكفير الأعيان، بل تصحيح حقائق الدين في القلوب والأذهان».

ثم قال معلقاً على هذا الكلام:

«وذلك أن تصحيح العقيدة أصل ضروري وواجب حتمي، لا يحل السكوت عنه.

أما الحكم على الأعيان ؛ فأمر تطبيقي تبعي، له شروطه وضوابطه، ويجوز الخلاف فيه، ما دام اجتهاديّاً».

التعليق:

في هذا الكلام نظر من وجوه:

١- أن غلاة المرجئة قد انقرضوا من قرون، وأن مرجئة الفقهاء هم من أشد الناس توسعاً في التكفير، فقد يكفرون بغير مكفِّر.

٢- أن التعليل بالإرجاء وما بعده؛ فيه نظر إن سلمنا بصحة هذا الادعاء، بأن هناك مرتدين جهاراً؛ فمتى حصلت ردة إلى اليهودية، أو النصرانية، أو المجوسية، أو الشيوعية، أو الهندوكية، فلم يحكم على المرتدين إلى هذه الأديان أو بعضها بالردة؟! ومن يتردد من المسلمين في الحكم على من ارتد إلى الشيوعية، أو إلى اليهودية، أو النصرانية، أو إلى أي نحلة كافرة بأنه مرتد؟!

وإذن؛ فعلى (سفر) أن يحرر عبارته؛ فإننا لا نعلم عن مسلم -مهما ضلَّ- أن يصل به الأمر إلى هذا الحدِّ الذي صوّره (سفر)، اللهم إلا ما وجد من مواقف بعض (الإخوان المسلمين) الذين قد يتحالفون مع بعض الأحزاب الملحدة من شيوعيين وغيرهم، فإذا أُنكر عليهم هذا التحالف الأثيم؛ قالوا: إنهم أسلموا، فإذا نشب بينهم وبين حلفائهم خلاف قالوا: إنهم كفار شيوعيون.

وإلا ما وجد من (فتحي يكن) الذي قال: «إنه ليصعب علي أن أقول لأخي المسيحي: إنه كافر»!!

وإلا مثل ما قام به (الإخوان المسلمون) من مؤتمرات لوحدة الأديان، ومن دعوة إلى إقامة الحزب الإبراهيمي!!

أو مثل دعوة بعض (الإخوان المسلمين) إلى الوحدة الإسلامية بين كل الطوائف؛ بما في ذلك الباطنية من دروز وغيرهم!!

٣- اعتبارك سيد قطب من السائرين على منهج أهل السنة والجماعة من الأعاجيب المفزعة، فإذا كان ما وقع فيه من بدع كبرى مثل قوله بوحدة الوجود، والحلول، والجبر، وطعنه في الصحابة، وتنقصه لنبي الله موسى، وقوله بأزلية الروح، وإنكاره لرؤية الله في الآخرة، وقوله بالاشتراكية الغالية، وتعطيله لصفات الله على طريقة الجهمية، إذا كانت هذه البدع وغيرها لا تخرجه عن دائرة أهل السنة والجماعة؛ فماذا أبقيتم لغلاة المرجئة القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب؟!!».

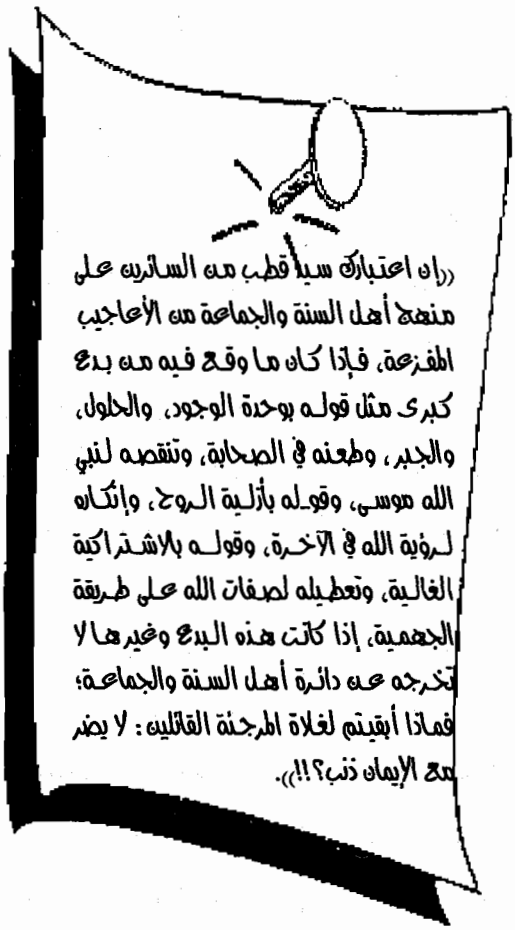

وغيرها لا تخرجه عن دائرة أهل السنة والجماعة؛ فماذا أبقيتم لغلاة المرجئة القائلين: لا يضر مع الإيمان ذنب؟!!

٤- ما هو الإيمان الذي شارك سيد قطب فيه الإمامين ابن تيمية وابن عبد الوهاب في الدعوة إلى تصحيحه وتجليته؟! فهل من ذلك الدَّعوة إلى إثبات صفات الله، وإلى الإيمان بأن الله في السماء وعلى العرش استوى؟! وهل من ذلك الإيمان بالميزان الذي يزن الله به أعمال عباده المكلفين؟! وهل من ذلك الإيمان بمعجزات الرسول ﷺ، والإيمان برؤية الله في الدار الآخرة، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق؟!

فهل (سيد قطب) شارك هذين الإمامين في الدعوة إلى الإيمان بهذه الأمور؟! وتصحيح عقائدهم فيها؟!!

وهل شاركهما في تجليتها، وفي الدعوة إلى إخلاص العبادة لله؟ ومحاربة ما يضادها من شرك القبور؟! وما يتبع ذلك من بدع وضلالات؟!! أو محاربة التصوف؛ بما فيه الحلول ووحدة الوجود ؟!!!

أو أنه ضدهما في هذه الأمور، ومن أشد المخالفين فيها لنصوص الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح؛ الذي سار عليه الإمامان ابن تيمية وابن عبد الوهاب؟! أهذه غفلة منك؟ أو هو جهل بواقع سيد قطب وعقيدته؟! أو لذلك أسباب أُخر؟!!

وهل يتفق منهج سيد قطب في بيان ضروب الكفر وأنواعه مع منهج أهل السنة والجماعة، وفيهم الإمامان ابن تيمية وابن عبد الوهاب، أو أن (سيد قطب) في وادٍ بعيد عن ذلك تجاوز فيه منهج غلاة الخوارج؟!

٥- ما هي ضروب الكفر التي شارك (سيد قطب) الإمامين في بيانها للأمة؟! فهل هو يتفق في ذلك مع منهج أهل السنة والجماعة؛ ومنهم الإمامان ابن تيمية وابن عبد الوهاب؟! أو أن (سيد قطب) في واد بعيد عن ذلك قد تجاوز في التكفير بالجهل والظلم واديَ الخوارج وأضرابهم من أهل الأهواء والجهل؟!

إن التكفير -الذي كان هو شغل (سيد قطب) الشاغل-: هو التكفير بالحاكمية، وهو غالٍ فيه، تجاوز فيه مذهب الخوارج، وليس هو فيه على مذهب أهل السنة والجماعة.

ولقد ظلم المجتمعات الإسلامية؛ حيث كفَّرها تكفيراً جليّاً واضحاً بقوانين فُرضت عليهم فرضاً، وقُهروا عليها قهراً، لا يريدونها ولا يحبونها؛ بل هم يئنُّون منها أنين الثكلى، فكم من الأجيال والقرون قد ظلمهم (سيد قطب)، وحكم عليهم بأن إسلامهم قد توقف؟!

أما الإمامان؛ فهما سائران فعلاً على منهج أهل السنة والجماعة، بعلم واسع وفقه رصين، فهما إذا تكلما في ضروب الكفر تكلما بعلم، ولا يكفِّران المجتمعات الإسلامية كما هو فِعْلُ سيد قطب .

وإذا كفَّرا بعض الأعيان؛ فإنما يقع ذلك منهم بعد توفر شروطه وانتفاء موانعه.

فربطك سيد قطب بهما وبمنهج أهل السنة: ربط بين النقيضين! والبون بينهم شاسع جداً، أبعد مما بين المشرقين، لا سيما إذا جمعت كل بِدَعِهِ في صعيد واحد .

٦- لا ندري ما هو الأمر الذي سَهَّلَ لك إطلاق لفظ (شهيد) بصيغة الجزم، وأنت تعلم مذهب أهل السُّنَّة والجماعة في مثل إطلاق هذا اللفظ، وقد بلغنا أن بعض الغلاة فيه يطلق عليه سيد الشهداء، محتجين بقوله ﷺ: «سيّدُ الشهداءِ حمزة، ورجلٌ قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله»، على فرض ثبوته، والخلاف بين سيد قطب وقاتله سياسي، لُبِّسَ لباس الإسلام.

فهل سيد قطب فعلاً قال كلمة حقّ عند (جمال عبد الناصر) فقتله من أجل ذلك؟! فهل هو دعا (جمال عبد الناصر) ومن استطاع من أهل مصر إلى القضاء على شرك القبور وشد الرحال إليها، وتقديم القرابين إليها؟! ودعا إلى هدم هذه القبور وتطهير بيوت الله منها ؟!!

وهل دعاه ودعا المسؤولين عن الجامعات والمعاهد والمدارس إلى إصلاح مناهجها، وتصحيح عقائدها في ضوء الكتاب والسنة ومنهج السلف؟!!

وهل طالب (جمال عبد الناصر) وكبار دولته إلى إقامة حكم الله في المرتدين إلى الشيوعية؟!!

أما نحن؛ فلا نعرف شيئاً من ذلك، ونقول: فاقد الشيء لا يعطيه! وكل إناء ينضح بما فيه!

أما الشّيوعيون والعلمانيون وسائر المنحرفين؛ فكان يَعِدُهم إن قامت دولته أن يعطيهم حقوقهم الكاملة من مناصب وغيرها.

أما عقيدته في الأسماء والصفات؛ فإنه من أشد المعطلين لها.

وأما معرفته بتوحيد العبادة؛ فهو من أشد المتخبِّطين في فهم (لا إله إلا الله)، ومن أشد المحرِّفين لمعناها، ومن أشد المحرِّفين لدعوة الأنبياء إليها، ومن ضلاله في فهمها: أنه يجعل الحاكمية الضيِّقة -أي: الجانب السياسي في الإسلام- أخص خصائصها، ولا يكفِّر ولا يحارب إلا على هذا الفهم، ولا يضلل من خالف معناها الحقيقي الذي تتابع الأنبياء والرسل على الدعوة إليه، وجاهدوا من أجله، وسار على دربهم من الأئمة المجددين والمصلحين.

وأما توحيد الربوبية؛ فلضلاله العريض فيه؛ قام بتقرير وحدة الوجود والحلول في «الظلال» في تفسير (سورة الحديد)، وتفسير (سورة الإخلاص)، وقبل ذلك قررها في «ديوانه الشعري»، وفي« كتب وشخصيات» مدح عقيدة (النيرفانا) الهندوكية، ومدح أهلها، وذبَّ عنها وعنهم، وهي تضم في ثناياها عقيدة الحلول ووحدة الوجود، وعقيدة وحدة الأديان، وعقيدة التناسخ.

فلو قرن مسلم هذا الرجل بأحد من رؤوس الخوارج، أو المعتزلة، أو المرجئة، أو أحد من رؤوس الأشاعرة؛ لكان قد ظلم ذلك المعتزلي، أو الخارجي، أو المرجىء، أو الأشعري، فكيف يجوز أن يقرن بأئمة الحق والهدى

والدعاة إلى الله على بصيرة، وعلى طريقة الأنبياء وهديهم؟!

أما موقفه من العلمانيين والشّيوعيين وسائر المنحرفين عن الإسلام؛ فاستمع إلى قوله في كتاب «معركة الإسلام والرأسمالية» (ص٨٤):

« ... وبعد، فليطمئن المخلصون من المفكرين، ورجال الفنون ومن إليهم: أن حكم الإسلام لن يُسْلِمَهُمْ إلى المشانق والسجون، ولن يكبت أفكارهم، ويحطم أقلامهم، وينبذهم من رعايته وحمايته، ولا يأخذوا الصيحات التافهة التي يصيحها اليوم رجال الدين المحترفون في وجه بعض الكتب وبعض الأفكار حجة؛ فإنما هذه الصيحات تجارة رابحة اليوم، وحركة كاسبة؛ لأنهم يعيشون في عهد الإقطاع الذي يقيمهم حراساً لمظالمه وجرائمه، ولكي يبرروا وجودهم في أعين الجماهير؛ يطلقون هذه الصيحات الفارغة بين الحين والحين.

فأمّا حين يكون الحكم للإسلام؛ فلن يبقى لهؤلاء عمل، فسيكونون مجنَّدين لعمل منتج نافع؛ هم وبقية المتعطلين المتسكّعين من كبار المُلاك، ومن الموظفين والمستخدمين في الدواوين، ومن أحلاس المقاهي والمواخير والخانات، ومن المشردين في الشوارع والطرقات، والمصطلين بالشمس حول الأجران ... وكلهم في التعطل والتبطل سواء».

فهل هذه هي الحاكمية التي يدعو إليها سيد قطب وأتباعه ؟!

وهل هذا هو حكم الإسلام؟!! تكريم للشّيوعيين والمرتدين، وحكم جاهلي على الصالحين والطالحين بالتجنيد في الأعمال المنتجة السُّخْرة الجديدة لدولة إسلام (سيد قطب) الاشتراكية، تأسّياً بسُخْرة (ماركس) و(لينين) وأمثالهما للشعوب؛ لخدمة أحزابهم الشيوعية ؟!

أمثل هذا الإنسان العجيب يقرن بشيوخ الإسلام ؟!!

٧- وأما قولك : «وذلك أن تصحيح العقيدة أصل ضروري وواجب حتمي لا يحل السكوت عنه . . .» إلخ؛

فهو حقٌّ؛ ولكن هل قام (سيد قطب) بهذا الأصل الضروري الحتمي؛ فصحح عقيدته ودعا الناس إلى ذلك؟!

الذي يفهم من كلام (سفر) أن سيد قطب قد قام به!!

وهل (الإخوان المسلمون) أدركوا هذه الحقيقة الضرورية؛ وقاموا بها ودعوا الناس إليها؟!!

وهل قام (القطبيون) -على اختلاف فصائلهم- بهذا الأصل ودعوا إليه بحرارة؟ أو أنهم آثروا السكوت عن الدعوة إليه، وخذلوا من يدعو إليه؟! وتلاحموا مع (الإخوان) و(جماعة التبليغ)؟! والكل إما تحالفوا -أو في حكم التّحالف- ضد الدعاة إلى هذا الأصل الضروري المحتم الذي لا يحل السكوت عنه .

بل تبرع بعض كبار (القطبيين) بالشهادة (للإخوان المسلمين) بأنهم هم أتباع الأنبياء حقّاً!!

وبعضهم تبرع بالشهادة لهم بأنهم هم الطائفة المنصورة!!!

٨- وأما قولكم : «أما الحكم على الأعيان؛ فأمر تطبيقي تبعي، له شروطه وضوابطه، ويجوز الخلاف فيه ما دام اجتهاديّاً»؛ فهو كلامٌ حقٌّ.

أما السلفيون؛ فهم يلتزمونه ويسيرون فيه على طريقة السَّلف ومن سار على نهجهم، كابن تيمية وتلاميذه، والإمام محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه.

ولم يلتزمه سيد قطب وأتباعه، وشنُّوا على السلفيين ضروب الحرب، وكفَّر بعضهم كثيراً من السلفيين بأعيانهم، وكفر بعضهم (ابن باز) و(ابن عثيمين) و(الألباني) بأعيانهم، ووصفهم بعضهم بالثالوث!! واعتبروهم مع السلفيين من مرجئة الجهمية!!! ولم يراعوا الشروط والضوابط المنوَّه عنها، ولم يقولوا: هذا أمر يجوز فيه الخلاف ما دام اجتهاديّاً !!

وللبحث بقية . . .

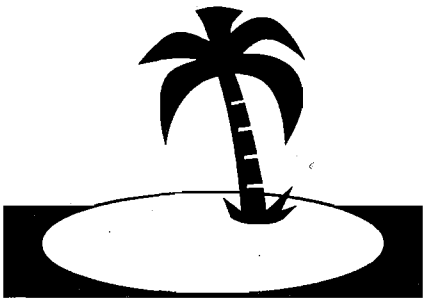

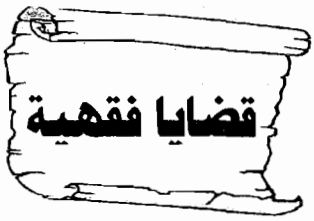

❖الحلقة الثانية

الأحكام التي تتميز بها المرأة عن الرجل

•بقلم: الشيخ خير الدين وانلي

١ـ خمار المرأة عند الصلاة:

عن عائشة –رضي الله عنها–، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يقبل اللهُ صلاةَ حائض إلا بخمار»(١).

وعن عبيد الله الخولاني –وكان في حجر ميمونة زوج النبي ﷺ–، قال: كانت ميمونة تصلي في الدرع الواحد والخمار، وليس عليها إزار(٢).

وقال شيخنا –رحمه الله– في «تمام المنّة» (ص١٦٢): «وفي الباب آثار أخرى مما يدل على أن الصلاة في الدّرع والخمار كان أمراً معروفاً لديهم، وهو أقل ما يجب عليهنّ لستر عورتهن في الصلاة، ولا ينافي ذلك ما روى ابن أبي شيبة والبيهقي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: «تصلي المرأة في ثلاثة أثواب: درع، وخمار، وإزار»، وإسناده صحيح.

وفي طريق أخرى عن ابن عمر قال: «إذا صلت المرأة؛ فلتصل في ثيابها كلها: الدرع، والخمار، والملحفة»، [رواه ابن أبي شيبة]، وسنده صحيح أيضاً.

---

(١) رواه أبو داود، وصححه شيخنا الألباني –رحمه الله– في «الإرواء» (١٩٦)، و «المشكاة» (٧٦٢)، و «صحيح أبي داود» (٥٩٦).

(٢) أخرجه مالك في «الموطإ»، وصححه شيخنا في «تمام المنة» (ص١٦٢).

فهذا كلّه محمول على الأكمل والأفضل، والله أعلم».اهـ

٢- صلاتها في المسجد، وعدم منعها منه:

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا النساء حظوظهنّ من المساجد إذا استأذنكم». [رواه مسلم]

وعنه -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «إذا استأذنت امرأةُ أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها». [رواه البخاري]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه-، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، ولكن ليخرجن تَفِلات»(١).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيوتهن خير لهن»(٢).

وعنه -رضي الله عنه- مرفوعاً: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأْذنوا لهن»(٣).

وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: إنْ كان رسول الله ﷺ ليصلي الصبح؛ فينصرف النساء متلفعاتٍ بمروطهن، ما يُعرفن من الغلس(٤).

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «ائذنوا للنساء إلى المساجد بالليل». فقال ابن له: والله لا نأذن لهن؛ فيتخذنه دغَلاً(٥)، والله لا نأذن لهن! قال: فسبّه وغضب، وقال: أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقول: لا نأذن لهن!! [رواه الشيخان وأبو داود]

٣- سرعة انصراف النساء من الصبح، وقلة مقامهن في المسجد:

عن عائشة -رضي الله عنها-: أن رسول الله ﷺ كان يصلي الصبح بِغَلَسٍ؛ فينصرفن نساء المؤمنين، لا يعرفن من الغلس، أو لا يعرف بعضهن بعضاً. [رواه البخاري]

---

(١) رواه أحمد وأبو داود، وصححه شيخنا الألباني في «الإرواء» (٥١٥)، و«صحيح أبي داود» (٥٢٩). ومعنى تفلات: غير متعطرات أو متطيبات.

(٢) رواه أحمد وأبو داود، وصححه شيخنا الألباني في «صحيح الترغيب» (٣٤١)، و «الإرواء» (٥١٥)، و «صحيح أبي داود» (٥٣٠).

(٣) رواه البخاري- كتاب: الأذان: باب: (خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس).

(٤) المصدر السابق.

(٥) الدَّغَل: الخداع.

٤ـ صلاتها خلف الرجل:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام النساء حين يقضي تسليمه، ويمكث هو في مقامه يسيراً قبل أن يقوم. قال[١]: نرى -والله أعلم- أن ذلكَ كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن أحد من الرجال». [رواه البخاري]

وعن أنس -رضي الله عنه-: أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته، فأكل منه، ثم قال: «قوموا فأصلي بكم»، قال أنس: فقمت إلى حصير لنا، قد اسودَّ من طول المدة، فنضحته بماء، فقام عليه، وصففت أنا واليتيم وراءه، والعجوز من ورائنا، فصلى بنا ركعتين، ثم انصرف[٢].

٥ـ صلاة الرجل والمرأة حذاؤه:

عن ميمونة -رضي الله عنها- قالت:كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا حذاؤه وأنا حائض، وربما أصابني ثوبه إذا سجد، وكان يصلي على الخُمرة[٣].

٦ـ إمامة النساء:

عن أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث ابن عويمر الأنصارية -رضي الله عنها-: أن النبي ﷺ لما غزا بدراً قال: قلت له: يا رسول الله! ائذن لي في الغزو معك، أمرّض مرضاكم، لعل الله أن يرزقني شهادة، قال: «قَرِّي في بيتك؛ فإن الله -تعالى- يرزقك الشهادة». قال: فكانت تسمى الشهيدة. قال: وكانت قد قرأت القرآن، فاستأذنت النبي ﷺ أن تتخذ في دارها مؤذناً، فأذن لها، قال: وكانت دبّرت غلاماً وجارية، فقاما إليها بالليل فغمّاها بقطيفة لها حتى ماتت وذهبا.

فأصبح عمر فقام في الناس فقال: من كان عنده من هذين علم، أو من رآهما؛ فليجئ بهما، فأمر بهما، فصلبا. فكانا أول مصلوب بالمدينة.

---

(١) القائل هو ابن شهاب الزهري (راوي الحديث).

(٢) أخرجه الستة.

(٣) أخرجه الشيخان، وأبو داود، والنسائي. ومعنى الخمرة: الحصير يسجد عليه المصلي.

وفي رواية: وكان رسول الله ﷺ يزورها في بيتها، وجعل لها مؤذناً يؤذن لها، وأمرها أن تؤم أهل دارها[1].

٧- اعتراض المرأة بين المصلي والقبلة:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي من الليل وأنا معترضة بينه وبين القبلة كاعتراض الجنازة، فإذا أراد أن يوتر؛ أيقظني فأوترت. [أخرجه الستة إلا الترمذي].

وذُكر عند عائشة -رضي الله عنها- ما يقطع الصلاة، فذكر: الكلب، والحمار، والمرأة، فقالت: لقد شَبَّهْتُمونا بالحُمُرِ والكلاب! والله لقد رأيت النبي ﷺ يصلي وأنا على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة، فتبدو لي حاجة، فأكره أن أجلس؛ فأوذي رسول الله ﷺ، فأنسل من قِبَلِ رجليه. [رواه الشيخان]

وفي رواية: كنت أكون نائمة ورجلاي بين يدي رسول الله ﷺ؛ وهو يصلي من الليل، فإذا أراد أن يسجد؛ ضرب رجليّ فقبضتهما؛ فسجد. [رواه الشيخان، وأبو داود]

(١) رواه أبو داود، وحسنه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٥٥٣).

وعنها -رضي الله عنها- قالت: كنت أنام وأنا معترضة في قبلة رسول الله ﷺ؛ فيصلي رسول الله ﷺ وأنا أمامه، إذا أراد أن يوتر غمزني، فقال: «تنحَّي»[2].

٨- رفع اليدين في الصلاة:

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة؛ رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه، ثم يكبر، فإذا أراد أن يركع؛ رفعهما مثل ذلك، وإذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك، وقال: «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد». [رواه البخاري، ومسلم، والبيهقي]

وعن نافع عن ابن عمر -رضي الله عنهما-: أنه كان إذا قام من الركعتين رفع يديه؛ ورفع ذلك إلى النبي ﷺ. [رواه البخاري، وأبو داود، والنسائي]

وعن علي -رضي الله عنه-: أنه ﷺ كان إذا قام من السجدتين؛ رفع يديه حذو منكبيه وكبَّر[3].

(٢) رواه أبو داود. والقول هنا يعني الفعل، وصححه شيخنا في «صحيح أبي داود» (٦٥٨).

(٣) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وصححه شيخنا في «صحيح الترمذي» (١٩٩) عن أبي هريرة نحوه.

قال الشوكاني: واعلم أن هذه السنة يشترك فيها الرجال والنساء، ولم يرد ما يدل على الفرق بينهما فيها، وكذا لم يرد ما يدل على الفرق بين الرجل والمرأة في مقدار الرفع[1].

٩- حضور النساء في المصلى وشهودهن العيدين ودعوة المسلمين:

عن أم عطية -رضي الله عنها- قالت: أمر رسول الله ﷺ أن يخرج في العيد: العواتق وذوات الخدور والحُيَّض، فأما الحيض؛ فيشهدن جماعة المسلمين ودعاءهم، ويعتزلن مصلاهم[2].

وفي رواية: والحُيَّض يكُنَّ خلف النساء، فيكبِّرن مع الناس[3].

١٠- موعظة الإمام النساء يوم العيد:

عن جابر -رضي الله عنه- قال: قام النبي ﷺ يوم الفطر؛ فصلى فبدأ بالصلاة، ثم خطب؛ فلما فرغ نزل فأتى النساء، فذكَّرهن وهو يتوكأ على يد بلال، وبلال باسط ثوبه يلقي فيه النساء الصَّدقة[4].

١١- لا تقضي الحائض الصلاة:

قالت امرأة لعائشة -رضي الله عنها-: أتجْزِي إحدانا صلاتها إذا طهرت؟ فقالت: أحرورية أنت؟ كنا نحيض مع النبي ﷺ فلا يأمرنا به. أو قالت: فلا نفعله[5].

١٢- كنس المرأةِ المسجدَ، وجمع القمامة:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن امرأة سوداء كانت تقمُّ[6] المسجد ففقدها رسول الله ﷺ، فسأل عنها؟ فقالوا: ماتت. فقال: «أفلا كنتم آذنتموني؟![7]»، فكأنهم صغَّروا أمرها. فقال: «دُلُّوني على قبرها»، فدلّوه، فصلى عليها، ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمةً على

---

(١) «فقه السنة» لسيد سابق (١/ ١٤٤).

(٢) أخرجه الشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي. ولفظ البخاري: أمرنا نبينا ﷺ أن نخرج العواتق وذوات الخدور.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي. وتمام الحديث: قالت إحداهن: يا رسول الله! إن لم يكن لها جلباب؟ قال: «فلتُعِرْها أختها من جلبابها».

(٤) رواه البخاري في كتاب العيدين - باب (موعظة الإمام النساءَ يوم العيد).

(٥) رواه البخاري في كتاب الحيض - باب (لا تقضي الحائض الصلاة).

(٦) قمُّ المسجد: كنسه.

(٧) أعلمتموني.

أهلها، وإن الله -تعالى- ينورها لهم بصلاتي عليهم»[1].

١٣- المرأة وحدها تكون صفاً:

عن أنس -رضي الله عنه- قال: صليت أنا ويتيم في بيتنا خلف النبي ﷺ؛ وأمي أم سليم خلفنا[2].

١٤- اعتكاف النساء وعدم المباشرة أثناء الاعتكاف:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان، ثم اعتكف أزواجه من بعده. [أخرجه الستة]

وعنها -رضي الله عنها- قال: اعتكفتْ مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه مستحاضة، فكانت ترى الدم والصفرة وهي تصلي، وربما وضعت الطست تحتها من الدم. [أخرجه البخاري وأبو داود]

وعن علي بن الحسين قال: قالت صفية -رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته ثم قمت لأنقلب، فقام معي، حتى إذا بلغ باب المسجد؛ مرَّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا فقال: «على رسلكما؛ إنها صفية بنت حيي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله! فقال: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً»، أو قال: «شرّاً»[3].

وقال -تعالى-: ﴿وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ[4] وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾. [البقرة:١٨٧]

١٥- نوم المرأة في المسجد:

عن عائشة -رضي الله عنها-: أن وليدةً كانت سوداءَ لِحَيٍّ من العرب، فأعتقوها، فكانت معهم، قالت: فخرجت

---

(١) أخرجه الشيخان، وأبو داود، واللفظ لمسلم، ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» إلا أنه قال: إن امرأة كانت تلقط الخرق والعيدان من المسجد. ورواه الطبراني عن ابن عباس: أن امرأة كانت تلقط القذى من المسجد.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان - باب (المرأة وحدها تكون صفاً).

(٣) أخرجه الشيخان، وأبو داود.

والانقلاب: الرجوع.

(٤) قيل: المراد: الجماع. وقيل: يشمل التقبيل واللمس إذا كانا بشهوة، لا إذا كانا بغيرها؛ فهما جائزان. قاله عطاء، والشافعي، وابن المنذر وغيرهم. «حسن الأسوة» (ص٩).

صبية لهم عليها وشاح أحمر من سيور، قالت: فوضعته -أو وقع منها- فمرَّت به حُدَيَّاةٌ وهو ملقى، فحسبته لحماً فخطفته. قالت: فالتمسوه فلم يجدوه، قالت: فاتهموني، قالت: فطفقوا يفتشون؛ حتى فتشوا قُبُلها! قالت: والله إني لقائمة معهم؛ إذ مرّت الحُدَيَّاةُ فألقته، قالت: فوقع بينهم. قالت: هذا الذي اتهمتموني به، زعمتم؛ وأنا منه بريئة، وهو ذا هو، قالت: فجاءت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت. قالت عائشة: فكان لها خِبَاءٌ في المسجد أو حِفش. قالت: فكانت تأتيني فَتَحَدَّثُ عندي . . . الحديث.(١)

١٦- دعاء المرأة ليلة القدر:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قلت: يا رسول الله أرأيت إنْ علمتُ: أي ليلةٍ ليلةُ القدر فما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»(٢).

١٧- صلاة النساء مع الرجال في الكسوف:

عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- أنها قالت: أتيت عائشة زوج النبي ﷺ حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون، وإذ هي قائمة تصلي، فقلت: ما للناس؟ فأشارت بيدها إلى السماء، وقالت: سبحان الله. فقلت: آية؟ فأشارت؛ أي: نعم. قالت: فقمت حتى تجلاني الغَشْيُ، فجعلت أصب فوق رأسي الماء، فلما انصرف رسول الله ﷺ، حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما من شيء كنت لم أره؛ إلا وقد رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أُوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم مثلَ -أو قريباً من- فتنة الدجال»، لا أدري أيتهما قالت أسماء؛ «يؤتى أحدكم فيقال له: ما عِلْمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن - لا أدري: أي ذلك قالت أسماء-، فيقول: محمد رسول الله ﷺ، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتّبعنا فيقال له: نم صالحاً، فقد علمنا إن كنت لموقناً، وأما المنافق أو المرتاب، -لا

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة - باب (نوم المرأة في المسجد).

(٢) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وصححه شيخنا في «صحيح الترمذي» (٢٧٨٩)، و «صحيح ابن ماجه» (٣٨٥٠).

أدري أيتهما قالت أسماء- فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته»[1].

١٨- التسبيح وغيره للمرأة:

عن يُسَيْرَة مولاة لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وكانت من المهاجرات الأول -رضي الله عنها- قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: «عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس والتكبير، واعقدن الأنامل؛ فإنهن مسؤولات مستنطقات، ولا تغفلن فتنسين الرحمة». [أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي]

وعن جويرية -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها، ثم رجع إليها بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟»، قالت: نعم. قال: «لقد قلتُ بعدك أربع كلمات -ثلاث مرات- لو وزنت بما قلتِ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده: عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنةَ عرشه، ومداد كلماته»[2].

١٩- دعاء النوم تفعله المرأة:

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه؛ نفث في يديه وقرأ المعوذات و ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ويمسح بهما وجهه وجسده، يفعل ذلك ثلاث مرات، فلما اشتكى؛ كان يأمرني أن أفعل ذلك به. [أخرجه الستة إلا النسائي]

٢٠- دعاء الهم والكرب للمرأة:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال لها: «قولي: اللهم ربّ السماوت السبع ورب العرش العظيم! ربنا وربّ كل شيء! منزل التوراة والإنجيل والفرقان! فالق الحبّ والنوى! أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس

(١) رواه البخاري في أبواب الكسوف- باب (صلاة النساء مع الرجال في الكسوف).

(٢) أخرجه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي. ومعنى زنة عرشه: عِظم قدره. ومداد كلماته؛ أي: مثلها وعددها.

فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين، وأغنني من الفقر». [أخرجه احمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه]

وعن أسماء بنت عُمَيْسٍ -رضي الله عنها- قالت: عَلّمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن عند الكرب: «اللهُ اللهُ ربي، لا أشرك به شيئاً»(١).

٢١- الدعاء للنساء:

عن عطاء بن أبي رباح قال: قال ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ، فقالت: إني أُصْرَعُ، وإني أتكشّف، فادعُ اللهَ لي. قال: «إنْ شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإنْ شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك». قالت: أصبر؛ فادعُ الله لي أن لا أتكشف! فدعا لها. [أخرجه الشيخان]

٢٢- الدعاء والصلاة على النساء:

عن أبي حميد الساعدي -رضي الله عنه- قال: قالوا: يا رسول الله! كيف نصلي عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليتَ على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركتَ على إبراهيم؛ إنك حميد مجيد». [أخرجه الستة إلا الترمذي]

وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قالت امرأة: يا رسول الله! صلِّ عليّ وعلى زوجي. فقال ﷺ: «صلى الله عليكِ وعلى زوجك»(٢).

٢٣- الاستعاذة من النساء النفاثات:

قال -تعالى-: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ(٣) فِي الْعُقَدِ.(٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:١-٥]

---

(١) أخرجه ابن ماجة، و صححه شيخنا في «صحيح ابن ماجه» (٣١٣٢).

(٢) أخرجه أحمد، وأبو داود، وابن أبي شيبة، وصحح إسناده شيخنا -رحمه الله- في «فضل الصلاة» لإسماعيل القاضي(ص٧٧).
والحديث دليل على جواز الصلاة على غير الأنبياء -عليهم السلام- لكن بدون السلام. «حسن الأسوة».

(٣) هنّ السواحر. والمعنى: أعوذ برب الفلق من شر النساء النفاثات. والنفث: النفخ.
كان يفعل ذلك من يرقي ويسحر.

(٤) جمع عقدة، وذلك أنهن كنّ ينفثن في عقد الخيوط حين يسحرون بها.

❖الحلقة الأولى

فوائد لطلاب العلم

●بقلم: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-

الفائدة الأولى:

١) لا بد لطالب العلم من مراعاة عدة أمور عند طلبه لأي علم من العلوم:

أولاً: حفظ متن مختصر فيه، فمثلاً إذا كنتَ تطلب النّحو فاحفظ مختصراً فيه، إنْ كنتَ مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن «الآجرومية»؛ لأنه واضح وجامع وحاصر وفيه بركة، ثم متن «ألفية ابن مالك»؛ لأنها خلاصة علم النحو، كما قال هو نفسه:

أحصى من «الكافيَّة» الخلاصة
كما اقتضى غنى بلا خصاصة

❑ في الفقه احفظ «زاد المستقنع»؛ لأن هذا الكتاب مخدوم بالشروح والحواشي والتّدريس، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه؛ لكن هو أحسن منها من وجه أخر: من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه، ومن حيث إنّه مخدوم.

❑ في الحديث متن «عمدة الأحكام»، وإنْ ترقيت فـ«بلوغ المرام»، وإنْ كنت تقول: إمّا هذا أو هذا؛ فـ«بلوغ المرام» أحسن؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث، ولأن الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بين درجة الحديث.

❑ في التوحيد: من أحسن ما قرأنا كتاب «التوحيد» لشيخ الإسلام محمد ابن عبدالوهاب، وفي الأسماء والصفات: من أحسن ما أُلّف فيما قرأتُ: «العقيدة

الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهو كتاب جامع مبارك مفيد، وهلم جرّاً، خذ من كل فن تطلبه كتاباً مختصراً واحفظه.

ثانياً: ضبطه وشرحه على شيخ متقن وتحقيق ألفاظه، وما كان زائداً أو ناقصاً.

ثالثاً: عدم الاشتغال بالمطوّلات، وهذه الفقرة مهمة لطالب العلم، لا بد أن يتقن المختصرات أولاً حتى ترسخ العلوم في ذهنه، ثم يُفيض إلى المطولات؛ لكن بعض الطلبة قد يغرب فيطالع المطولات، ثم إذا جلس مجلساً قال: قال صاحب «المغني»، قال صاحب «المجموع»، قال صاحب «الإنصاف»، قال صحاب «الحاوي»، ليُظهر أنه واسع الاطلاع، وهذا خطأ؛ نحن نقول: ابدأ بالمختصرات حتى ترسخ العلوم في ذهنك، ثم إذا منَّ اللهُ عليك؛ فاشتغل بالمطولات، وقياس ذلك بالأمر المحسوس أن ينزل مَن لم يتعلم السباحة إلى بحر عميق؛ فإنه لا يستطيع أن يتخلص؛ فضلاً عن أن يتقن.

رابعاً: لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب؛ فهذا من باب الضجر، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه، وتضيع عليه أوقاته، كل يوم له كتاب! هذا خطأ، إذا قررت الكتاب الفلاني فاستمر، لا تقول: أقرأ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب، ثم أنتقل للآخر؛ فإن هذا مضيعة للوقت.

خامساً: اقتناص الفوائد والضوابط العلمية، الفوائد التي لا تكاد تطرأ على الذّهن، أو التي يندر ذكرها، والتعرض لها، أو التي تكون مستجدة تحتاج إلى بيان الحكم فيها، هذه اقتنصها، قيدها بالكتابة؛ لا تقول: هذا أمر معلوم عندي، ولا حاجة أن أقيدها؛ فإنك سرعان ما تنسى، وكم من فائدة تمر بالإنسان فيقول: (هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد)، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها، لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها، أو يتجدد وقوعها، وأحسنُ ما رأيتُ في مثل هذا: كتاب «بدائع الفوائد» للعلامة ابن القيم، فيه من بدائع العلوم ما لا تكاد تجده في كتاب آخر، فهو جامع في كلِّ فن، كلما طرأ على باله مسألة، أو سمع فائدة؛ قيد ذلك؛ ولهذا تجد فيه من علم العقائد، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، والبلاغة.

أيضاً؛ احرص على الاهتمام بالضوابط، ومن الضوابط: ما يذكره العلماء تعليلاً للأحكام؛ فإن كلّ التعليلات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط؛ لأنّها تبنى عليها

الأحكام؛ فهذه احتفظ بها، وسمعت أن بعض الإخوان الآن يتتبع هذه الضوابط في «الروض المربع»، ويحررها، وقلت: من الأحسن أن يقوم طائفة بهذا، تتبع «الروض المربع» من أوله إلى آخره كلّ ما ذكر علة يقيدها؛ لأن كلّ علة يبني عليها مسائل كثيرة، إذ إنّ العلم له ضابط، ضابط يدخل تحته جُزئيات كثيرة، فمثلاً إذا شك في طهارة ماء، أو بنجاسته؛ فإنه يبني على اليقين، هذه على كل حال تعتبر حكماً ضابطاً، أيضاً يعلل بأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فإذا شك في طهارة طاهر فهو طاهر، أو في طهارة نجس فهو نجس؛ لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، وهذا لو أن الإنسان كلما مرّ عليه مثل هذه التعليلات حررها وضبطها، ثم حاول في المستقبل أن يبني عليها مسائل جزئية؛ لكان في هذا فائدة كبيرة له ولغيره.

سادساً: جمع النفس للطلب، فلا يشتتها يميناً ويساراً، اجمع النفس على الطلب ما دمت مقتنعاً بأن هذا منهجك وسبيلك، وأيضاً اجمع نفسك على الترقي فيه، لا تبقى ساكناً، فكّر فيما وصل إليه علمك من المسائل والدلائل حتى تترقى شيئاً فشيئاً، واستعن بمن تثق به من زملائك وإخوانك فيما إذا احتاجت المسألة إلى استعانة، ولا تستحي أن تقول: يا فلان! ساعدني على تحقيق هذه المسالة بمراجعة الكتب، لا ينال العلم بالحياء أحد، فلا ينال العلم مُسْتَحْيٍ ولا مستكبر.

الفائدة الثانية:

مما ينبغي لطالب العلم مراعاته: تلقي العلم عن الأشياخ؛ لأنه يستفيد بذلك فوائد عدة:

١- **اختصار الطريق:** فبدلاً من أن يذهب يقلّب في بطون الكتب وينظر ما هو القول الراجح، وما سبب رجحانه، وما هو القول الضعيف، وما سبب ضعفه، بدلاً من ذلك؛ يمد إليه المعلم ذلك بطريق سهل يقول: اختلف أهل العلم في كذا على قولين أو ثلاثة، والراجح كذا، والدليل كذا، وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم.

٢- **السرعة في الإدراك:** فطالب العلم إذا كان يقرأ على عالم؛ فإنه يدرك بسرعة أكثر ما لو ذهب يقرأ في الكتب؛ لأنه إذا قرأ في الكتب تمر عليه العبارات المشكلة والغامضة، فيحتاج إلى التدبر وتكرار العبارة، مما يأخذ منه الوقت والجهد، وربما فهمها على وجه خطإ وعمل بها.

٣- الربط بين طلاب العلم والعلماء الربانيين، لذلك فإن القراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه.

الفائدة الثالثة:

إذا دعت الحاجة للسؤال؛ فليُحسن طالب العلم السؤال، أمّا إذا لم تَدْعُ الحاجة فلا يسأل؛ لأنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو، أو ظنّ أنّ غيره يحتاج إلى السؤال، قد يكون مثلاً في درس، وهو فاهم الدرس؛ ولكن فيه مسائل صعبة تحتاج إلى بيانها لبقية الطلبة، فيسأل من أجل حاجة غيره، والسائل لحاجة غيره كالمعلم؛ لأن النبي ﷺ لما جاء جبريل وسأله عن الإيمان، والإحسان، والإسلام، والساعة وأشراطها، قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1]، فإذا كان الباعث على السؤال حاجة السائل فسؤاله وجيه، أو حاجة غيره وسأل ليعلم غيره؛ فهذا أيضاً طيب، أما إذا سأل ليقول الناس: ما شاء الله! فلان عنده حرص على العلم، كثير السؤال؛ فهذا غلط!

وعلى العكس من ذلك يقول: لا أسأل حياءً، فالثاني مُفرِّط، والأول مُفْرِط، وخير الأمور الوسط.

كذلك ينبغي أن يكون عند طالب العلم حسن الاستماع، وصحة الفهم للجواب، فبعض الطلبة إذا سأل وأُجيب؛ تجده يستحي أن يقول: ما فهمت، والذي ينبغي لطالب العلم أن يقول: ما فهمت؛ لكن بأدب.

الفائدة الرابعة:

الحفظ ينقسم إلى قسمين: قسم غريزي يهبه الله -تعالى- لمن يشاء، فتجد الإنسان تمر عليه المسألة والبحث فيحفظه ولا ينساه، وقسم آخر كسبي، بمعنى أن يُمَرّنَ الإنسانُ نفسَه على الحفظ، ويتذكر ما حفظ، فإذا عوّد نفسه تذكر ما حفظ، سهُل عليه حفظه.

وللبحث بقية . . .

(١) رواه مسلم.

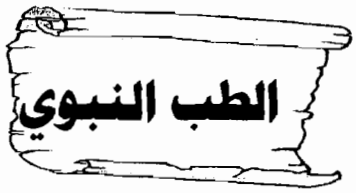

❖الحلقة الخامسة

أهمية علم الطب في الكتابِ والسُّنَّةِ وآثارِ السَّلفِ

● بقلم: الشيخ محمد بن موسى آل نصر

عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: «ما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه شفاءً؛ علمه من علمه، وجهله من جهله». [أخرجه ابن ماجه، والحاكم، وابن السني، وأبو نعيم]

قال الحافظ الذهبي: قلنا: إن ذلك يقتضي تحريك الهمم، وحث العزائم على تعلم الطب، وهو لغة: الحذق.

«علمه من علمه»: إشارة إلى الأطباء، «وجهله من جهله» أي: من باقي الناس.

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «لا أعلم علماً -بعد الحلال والحرام- أنبل من الطب».

وقال الحافظ أبو طاهر السِّلفي: «أخبرني الثقفي: سمعت أبا عمر بن بَالَوَيْهِ: سمعت الربيع: سمعت الشافعي يقول: العلم علمان: علم الأديان؛ الفقه، وعلم الأبدان؛ الطب».

وقال الحسن بن سفيان، حدثنا حرملة، قال: كان الشافعي يتلهف على ما ضيّعه المسلمون من الطب، ويقول:

ضيّعوا ثلث العلم، ووكلوا إلى اليهود والنصارى.

وقال ابن أبي حاتم في «مناقب الشافعي»: حدثنا أبي: ثنا يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: «إن أهل الكتاب قد غلبونا على الطب».

وأخرج أبو نعيم في «مناقبه» من طريق أبي حسين البصري قال: سمعت طبيباً بمصر يقول: ورد الشافعي مصر، فذاكرني بالطب حتى ظننت أنه لا يحسن غيره، فقلت له: أقرأ عليك شيئاً من كتاب أبقراط؟ فأشار إلى الجامع، وقال: إن هؤلاء لا يتركوني.

- عناية أم المؤمنين عائشة بالطب مع ما تميزت به من فقه:

عن هشام بن عروة قال: ما رأيت أحداً أعلم بالطب من عائشة، فقلتُ: يا خالة! ممن تعلمتِ الطب؟ قالت: أسمع الناس تنعت بعضهم، فأحفظ.

وفي لفظ عنه، قال: قلت لعائشة: يا أم المؤمنين! أعجب من بصرك بالطب!! قالت: يا ابن أخي! إن رسول الله ﷺ لما طَعَنَ في السن سقم، فوفدت الوفود فنعتت، فمن ثَمّ.

وفي آخر عنها -رضي الله عنهما- قالت: يا ابن أخي! كان يمرض الإنسان من أهلي، فينعت له رسول الله ﷺ فأَعيه، فأنعته للناس. رواه أبو نعيم.

قلت: واختلف العلماء؛ هل الطب إلهام من الله -تعالى-، أو هو تجارب وتعليم؟! فقال الذهبي: قال أبقراط وغيره: الطب إلهام من الله -تعالى-، وأبقراط رئيس هذه الصناعة ومذهبه فيها هو المذهب الصحيح، وتبعه عليه جالينوس إمام هذه الصناعة، وهما معظمان عند الأطباء تعظيماً كثيراً . . .

وقيل: إنه حصل بالتجارب، وقيل: بالقياس، والأغلب أنه من تعليم الله -عزّ وجلّ- وإلهامه وهو الحقّ، ثم أُضيف إليه التجارب والقياس، وقد رأينا الناس وبعض الحيوان يستعملون الطب طبعاً وإلهاماً؛ فإن كل من أحس بالجوع طلب الغذاء، وكذا إذا عطش طلب الماء، وإذا كرب تَبَرَّدَ؛ وبالضد، وإذا أُتخم أعرض عن الأكل، وهذا من الطب، فالحية إذا

خرجت بعد الشتاء [من جحرها] وقد كل بصرها، تأتي إلى الرازيانج -وهو الشومر- فتأكل منه، وتقلب عينيها عليه فتبصر، وقد نبَّه الأطباء على استعماله عند ظلمة البصر، وكذا الطائر الغواص على السمك؛ إذا حبس طبعه حقن نفسه بماء البحر، وفرخ الخطاف إذا عمي حملت إليه أمه الماميران من الصين فيبصر . . .، والثعلب إذا مرض في الربيع؛ يأكل حشيشاً يسهله فيصح، وكذلك الهر تأكله فيعينها على القيء، ومعلوم أن الحشيش ليس من أغذيتها، فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى[1].

قلت: فالطيور والحيوانات تدفع أمراضها بإلهام من الله -تعالى- لها، وبوحي خاص من الله لها ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.

أما الطب الذي وصلنا عن أنبياء الله -وخصوصاً عن نبينا محمد ﷺ-؛ فهو وحي من الله -تعالى-. فالطب النبوي وعلاجات الرسول ﷺ الثابتة بالأحاديث؛ كلها وحي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

لذلك فهي علاجات ناجعة، لا يتطرق إليها الشك البتة، من ذلك مداواة الرسول ﷺ مرض العيون بالكَمْأةِ والإثمد، ومداوته للحمى بالماء البارد يسن على المحموم سحراً على ثلاثة أيام، وكذا مداواته ﷺ للمحزون بالتلبينة، ولمن اشتكى ألماً في رأسه بالحجامة، ولمن اشتكى ألماً في رجليه بالحناء، وأمثال ذلك كثير في السنة المطهرة.

وكثير من العلاجات الشعبية القديمة -يونانية كانت أم عربية- تقوم على التجربة أو الصدفة، أو الإلهام، ولربما قام بعضها على الاستعانة بالشياطين والكهنة، وهذا ما يحرمه الإسلام تحريماً أكيداً شديداً، ويعدُّه باباً من الشرك والكفر عياذاً بالله.

(١) «المنهل الروي في الطب النبوي» لمحمد بن طولون الدمشقي (١٣-١٤) -بشيء من التصرف.

أما الطب الحديث؛ فأكثره يقوم على التجربة العلمية والمختبرات العملية، وما يناسب بعض الناس قد لا يناسب آخرين، والعود إلى الطبيعة أسلم من المضاعفات التي تنتج عن المستحضرات الكيماوية التي تعمل عملها في بدن الإنسان، ولو بعد حين؛ فإن الدواء إذا لم يجد ما يحلله من الداء؛ عبث بالصحة، كما قرر ذلك الأطباء القدماء، ولذلك كانوا يعالجون بالغذاء قبل الدواء، وبالمفرد قبل المركب، وبالبسيط قبل المعقد، وبحفظ الصحة بالحِمْية؛ فإن المريض إذا تُرك للطبيعة فإنه يقوى على المرض؛ لأن الله -تعالى- خلق في جسم الإنسان مقاومة ذاتية للمرض، وهو ما يسمى في الطب الحديث بجهاز المناعة، فسبحان من خلق كل شيء فقدره تقديراً!

قال الإمام الذهبي: تشريع النبي ﷺ لأصحابه يدخل فيه كلّ الأمة؛ إلا أن يخصه دليل، وتطبيبه لأصحابه وأهل أرضه خاص بطباعهم؛ إلا أن يدل دليل على التعميم.

قلت: ومن رحمة الله بالخلق أن جعل شفاءهم وعلاجهم في أعشاب أرضهم، قال ابن القيم -رحمه الله- في «الطب النبوي»: «كان علاجه ﷺ للمريض ثلاثة أنواع:

أحدها: بالأدوية الطبيعية.

والثاني: بالأدوية الإلهية.

والثالث: بالمركب من الأمرين».

وكل ذلك وردت أدلته في السنة النبوية الصحيحة، والحمد لله، وقد بينا أمثلة ذلك فيما تقدم من حلقات.

وبالله التوفيق.

❖ « فالطب النبوي وعلاجات الرسول ﷺ الثابتة بالأحاديث؛ كلها وحي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ لذلك فهي علاجات ناجعة، لا يتطرق إليها الشك البتة، من ذلك مداواة الرسول ﷺ مرض العيون بالكَمْأةِ والإثمد، ومداوته للحمى بالماء البارد يسن على المحموم سحراً على ثلاثة أيام، وكذا مداواته ﷺ للمحزون بالتلبينة، ولمن اشتكى ألماً في رأسه بالحجامة، ولمن اشتكى ألماً في رجليه بالحناء، وأمثال ذلك كثير في السنة المطهرة».

الفتوى والفتنة

• بقلم: أسرة التحرير

الفتوى منصبٌ عظيمٌ، ومقامٌ خطيرٌ، ولها أثرٌ على توجه الأمة ومشاعرها، ومواقفها ومواقعها، ولا سيما في الأحداث الجِسام التي تنزل بها . . .

والمفتون المتصدّرون غير المتأهّلين بمثابة من يدل الرَّكب وليس لهم عِلم بالطريق، وبمنزلة الأعمى الذي يُرشِدُ الناسَ القِبلة، وبمنزلة من لا معرفة له بالطِّب، وهو يُطِبُّ الناس؛ بل أولئك أسوأ حالاً من هؤلاء -جميعاً-!

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- شديد الإنكار على هؤلاء، فقد نقل تلميذه ابن القيم عنه: «سمعته يقول: «قال لي بعض هؤلاء: أَجُعِلْتَ محتسبَ الفتوى؟ فقلت له: يكون على الخبازين والطباعين محتسبٌ، ولا يكون على الفتوى محتسب؟!».

وأسوأ هؤلاء حالاً -على الإطلاق-، من يغيّر ويبدّل في الأحكام على حسب المصالح الأرضية، والمناصب الدُّنيوية، وشكى علماؤنا قديماً من هؤلاء الطَّغام، وهذه جملة من عبارات لهم تحمل شيئاً من معاناتهم، نشترك وإياهم فيها هذه الأيام؛ لندرك أن مدار الخير والشر على قواعد واحدة، والذي يختلف -فحسب- (وسائل الإعلام)!

قال ابن القيم -بعد ذِكرِه بعضَ كلام هؤلاء-:

«وهـذا الضرب إنما يستفتون بالشكل لا بالفضل، وبالمناصب لا بالأهلية، قد نَحَرَهُمْ عُكـوفُ من لا علم عنده عليهم، ومسارعة أجهـل مـنهم إلـيهم، تعجُّ منهم الحقوق إلى الله عجـيجاً، وتضِـج مـن الأحكام إلى من أنـزلها ضـجيجاً، فمـن أَقْدَمَ بالجرأة على ما لـيس له بـأهل -فتياً أو قضاء أو تدريساً-، استحق اسم الذَّم، ولم يحلَّ قبول فتياه، ولا قضائه؛ هذا حكم دين الإسلام»[1].

وقال الباجي في كتاب «التبيين لسنن المهـتدين»[2]: «ولقـد حدثني من أثقه أنه اكـترى جزءاً من أرض على الإشاعة، ثم إن رجـلاً آخر اكترى باقي الأرض، فأراد المكـتري الأول أن يـأخذ بالشُّفعة وغاب عـن الـبلد، فأفـتى المكتريَ الثانيَ بإحدى الروايـتين عـن مـالك: أن لا شـفعة في الإجـارات، قال لي: فَوَرَدْتُ من سفري، فسـألت أولـئك الفقهاء-وهم أهل حفظ في المسـائل، وصـلاح في الديـن- عـن مسـألتي؛ فقـالوا: مـا علمـنا أنها لك؛ إذا كانـت لـك المسـألة أخذنـا لـك بـرواية أشـهب عـن مـالك بالشفعة فيها، فأفتاني جميعهم بالشفعة فقضى لي بها».

قـال: وأخـبرني رجـل عـن كـبير من فقهـاء هـذا الصـنف -مشـهور بـالحفظ والتقدم- أنه كان يقول معلناً غير مستتر: «إن الـذي لصـديقي علـيَّ إذا وقعـت له حكومة أن أفتيه بالرواية التي توافقه»!

قـال الـباجي: «ولو اعتقد هذا القائل أن مـثل هـذا لا يحل له ما استجازه، ولو اسـتجازه، لم يعلـن بـه، ولا أخبر به عن نفسه».

قـال: «وكـثيراً مـا يسـألني من تقع له مسـألة مـن الأَيمـان ونحوهـا: لعـل فـيها رواية؟ أو: لعل فيها رخصة؟ وهم يرون أن هـذا مـن الأمور الشائعة الجائزة، ولو كـان تكـرر عليهم إنكار الفقهاء لمثل هذا لمـا طولـبوا به في الإجماع أنه لا يجوز ولا يسـوغ ولا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا بـالحق الـذي يعـتقد أنه لا يجوز، ولا

(١) «إعـلام الموقعـين» (٥/ ١٨٨) - بتحقـيق الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان).

(٢) فيما نقل الشاطبي في «الموافقات» (٥/ ٩٠-٩١) - بتحقـيق الشـيخ أبـي عبـيدة مشهور بن حسـن آل سـلمان)، ونمـي إليّ أن الأخ إبراهيم بـاجس -حفظـه الله- يعمـل عـلى تحقـيقه على نسختين، يتمم كل منها الآخر.

يسوغ، ولا يحل لأحد خلاف بين المسلمين ممن يعتقد أنه حق؛ رضي بذلك من رضيه، وسخطه من سخطه، وإنما المفتي مخبر عن الله -تعالى- في حُكمه؛ فكيف يخبر عنه إلا بما يعتقد أنه حكم به وأوجبه؟! والله -تعالى- يقول لنبيه - عليه الصلاة والسلام-: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]؛ فكيف يجوز لهذا المفتي أن يفتي بما يشتهي؟ أو يفتي زيداً بما لا يفتي به عَمراً؟! -لصداقة تكون بينهما، أو غير ذلك من الأغراض؟!

وإنما يجب للمفتي أن يعلم أن الله أمره أن يحكم بما أنزل الله من الحق فيجتهد في طلبه، ونهاه أن يخالفه وينحرف عنه، وكيف به بالخلاص- مع كونه من أهل العلم والاجتهاد- إلا بتوفيق الله وعونه وعصمته؟!».

وقال ابن فرحون في «تبصرة الحكام» (١/ ٥١- ٥٢، ٥٥-٥٦)، والقرافي في «الإحكام» (ص٢٥٠) -والنص له-: «ولا ينبغي للمفتي إذا كان في المسألة قولان: -أحدهما فيه تشديد، والآخر فيه تخفيف-، أن يفتي العامة بالتشديد، والخواصّ من ولاة الأمور بالتخفيف، وذلك قريب من الفسوق والخيانة في الدّين، والتلاعب بالمسلمين، ودليل فراغ القلب من تعظيم الله -تعالى- وإجلاله وتقواه، وعمارته باللعب وحبّ الرياسة والتقرب إلى الخلق دون الخالق! نعوذ بالله تعالى من صفات الغافلين».

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى-في آخر «إعلام الموقعين» (٥/ ١٤٢ - تحقيق الشيخ مشهور حسن) في الفصل الذي عقده لفوائد تتعلق بالفتوى: «الفائدة التاسعة والثلاثون: لا يجوز للمفتي تتبُّع الحيل المحرمة والمكروهة، ولا تبع الرخص لمن أراد نفعه، فإن تتبع ذلك فسق، وحَرُمَ استفتاؤه، فإنْ حَسُنَ قصدُه في حيلة جائزة لا شبهة فيها ولا مفسدة -لتخليص المستفتي بها من حرج- جاز ذلك، بل استحب، وقد أرشد الله نبيه أيوب ﷺ إلى التخلص من الحنث بأن يأخذ بيده ضغثاً فيضرب به المرأة ضربة واحدة.

وأرشد النبي ﷺ إلى بيع الستمر بدراهم، ثم يشتري بالدراهم تمراً آخر، فيتخلص من الربا.

فأحسنُ المخارجِ ما خَلَصَ من المآثم، وأقبح الحيل ما أوقع في المحارم، أو أسقط ما أوجبه الله ورسوله من الحق اللازم، والله الموفق للصواب» انتهى.

ومن لطيف ما يُذكر في جنب الترخُّص: ما قاله الإمام ابن الجوزي -رحمه الله تعالى- عن نفسه، في كتابه «صيد الخاطر» (٢/ ٣٠٤)- وقد ترخص في بعض الأمور-:

«ترخّصتُ في شيء يجوز في بعض المذاهب، فوجدت في قلبي قسوة عظيمة، وتخايل لي نوع طرد عن الباب، وبُعدٍ وظلمةٍ تكاثفت.

فقالت نفسي: ما هذا؟ أليس ما خرجت عن إجماع الفقهاء؟ فقلت لها: يا نفسَ السوءِ! جوابك من وجهين:

أحدهما: أنك تأوّلت ما لا تعتقدين، فلو استفتيت لم تفتي بما فعلت، قلت: لو لم أعتقد جواز ذلك ما فعلته، قلت: إلا أن اعتقادك هو ما ترضينه لغيرك في الفتوى.

والثاني: أنه ينبغي لك الفرح بما وجدت من الظلمة عَقيبَ ذلك، لأنه لولا نور في قلبك ما أُثِرَ مثلُ هذا عندك، قلت: فلقد استوحشت بهذه الظلمة المتجددة في القلب، قلت: فاعزمي على الترك وقدِّري ما تركت جائزاً بالإجماع، وعدي هجرة ورعا، وقد سلمت».

قلنا: ما أكثرَ المتلاعبين اليوم بدينهم، المتناقضين في أحكامهم، القائم علمهم -إن كان لهم علم -على مصالحهم أو مصالح ولاة أمورهم، وقد بلوت نوعا من هؤلاء، فسمعته متحمساً لحل في فتوى في مسألة بناء على مصلحة-لا تسمن ولا تغني من جوع له- ثم يشاء الله -تعالى- أن تنقلب الأمور؛ وبعدها بأيام فإذا ذاك المتحمّس ينقلب إلى مثله بضده، أعني: بالتحريم في الحادثة عينها، دون تخلف قيد، أو طروء شيء عليها، اللهم إلا النفع وعدمه للمفتي!!

واليوم -وفي المسائل الكبار، التي تخص الأمة بأسرها- كنا نسمع ونقرأ أحكاماً لنصرة شعب مظلوم أمام عدو ملحد، وتغيَّر العدو، لا بل لونه، والعدو -بالمنظار الشرعي- هو هو! إذ الظلم

الذي يلحق هذا الشعب -المسكين- أشد وأنكى، وتتعطل دلالة الأَوْلى، ويتناقض الحكم والفتوى، وتفقَّدْ تجدْ! واسمع إلى ابن حزم وهو يقول:

«كان عندنا مفت قليل البضاعة، فكان لا يفتي حتى يتقدمه من يكتب الجواب، فيكتب تحته: جوابي مثل جواب الشيخ، فَقُدِّر أن اختلف مفتيان في جواب، فكتب تحتها: جوابي مثل جواب الشيخين، فقيل له: إنهما قد تناقضا، فقال: وأنا أيضاً تناقضتُ كما تناقضا». (١)

أليس فيما جرى -ويجري- (فتنةٌ) لضعيفي الإيمان، قليلي العلم، بسبب (الفتوى) غير المسؤولة، التي لا أصول لها و(الفوضى) فيها، فكيف إذا كانت تُناقض (الولاء) و(البراء) بين المسلمين، وهو من أصول الدين؟!

فلسنا ندري ما الذي يجري، ولا نعلمه، ولا نتصوّره، ونكاد أن لا نصدقه!!

اللهم ارحمْ عبادك الضعفاء، وارفع مقتك وغضبك عن هؤلاء.

---

(١) «الإحكام» (٦/ ٧٧).

❖« ونحن نبرأ إلى الله من هذا الخُلُقُ الذّميم، والمرتَع الذي هو على أصحابه وخيم، ونوالي علماء المسلمين، ونتخيّر من أقوالهم ما وافق الكتاب والسُّنَّة، ونَزِنُها بهما، لا نزنُهما بقول أحدٍ كائناً مَنْ كان، ولا نتّخذَ من دون اللهِ ورسولِه رجلاً يُصيب ويُخطئ؛ فنتّبعه في كلّ ما قال، ونمنعُ - بل نُحرّم- متابعة غيره في كلِّ ما خالفه فيه.

وبهذا أوصانا أئمة الإسلام، فهذا عهدهم إلينا، فنحن في ذلك على مناهجهم وطريقهم وهديهم، دون من خالفنا، وبالله التوفيق ». [«الفروسية» (ص٣٤٣)]

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز الإمام الألباني
للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية

(قسيمة اشتراك)

الاسم: .....

الدولة: ..... المدينة:..... الحي: ..... الشارع:.....

رقم المنزل: ..... الهاتف:..... الفاكس: .....

العنوان البريدي: .....

.....

.....

ماذا يستفيد المشترك:

١ـ مجلة الأصالة. ٢ـ نشرات المركز العلمية. ٣ـ نشرات المركز السمعية.

٤ـ صحيفة «البينة» باللغة الإنجليزية. ٥ـ خصم ٢٠٪ من الدورات العلمية التي يعقدها المركز.

٦ـ خصم ١٠٪ لمن يشترك لأكثر من سنة.

ـ قيمة الاشتراك السنوي: (٦٠) دينار للأردن - (٢٠٠) دولار لدول الخليج - (٢٥٠) دولار لأوروبا - (٣٠٠) دولار لأمريكا.

ـ اقتراحات أخرى.

.....

.....

ـ رقم الحساب: (١١٢٥٩) البنك الإسلامي الأردني - فرع طارق.

(ترسل الاشتراكات بحولات بنكية مصدَّقة باسم: محمد موسى نصر وسليم عيد الهلالي).

. يُرسل إشعار الحوالة إلى عنوان «مركز الإمام الألباني».